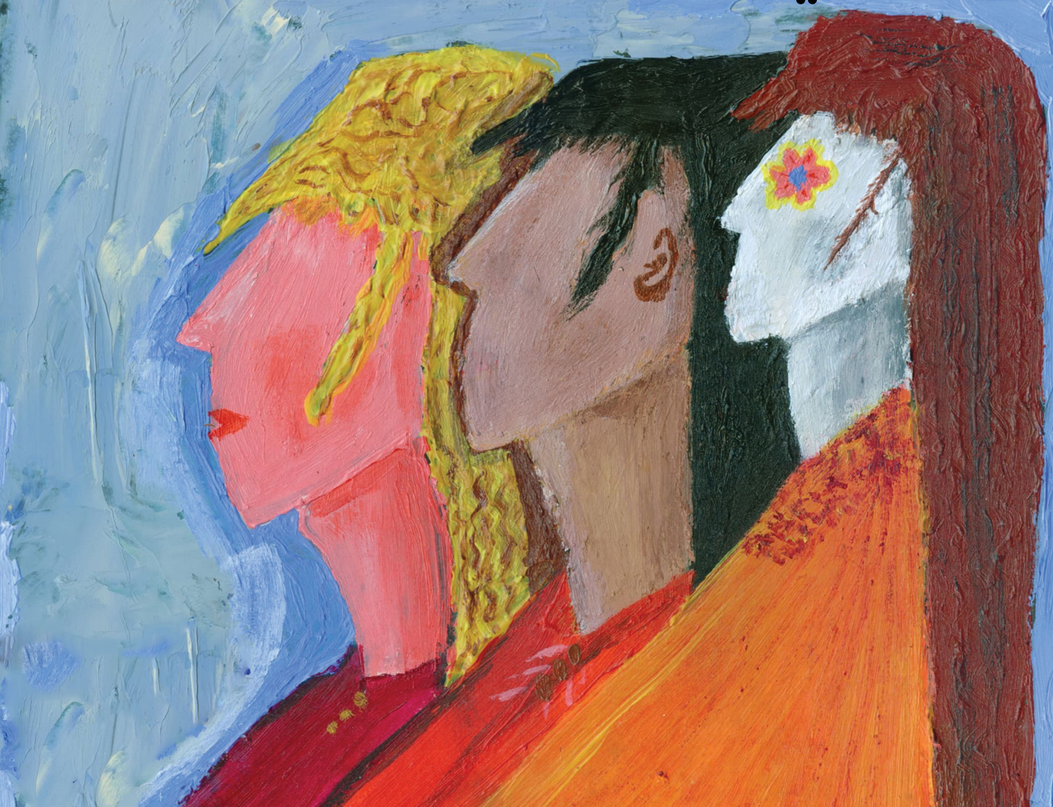
سلسلة كتاب نادي الشحر الأدبي (٣)

# أحلام مؤجّلة

مجموعة قصصية

علي حسين المقدي



أحلام مؤجلة (مجموعة قصصية)

علي حسين المقدي

## المؤلف في سطور :



## علي حسين علوي المقدي

- من مواليد منطقة المقد - مديرية الشّحر م/حضرموت.
- بكالوريوس لغة عربية - جامعة عدن.
- كاتب وقاص ومؤلف، وله عدة محاولات شعرية.
- عضو اتحاد أدباء وكتّاب الجنوب. بصفة قاص.
- عضو مؤسس لنادي الشّحر الأدبي ومسؤوله المالي .
- سكرتير سابق لسبتية الشاعر صالح باظفاري.
- مؤلف كتاب: مدرسة مكارم الأخلاق التاريخية منهجاً وأسلوباً وإدارة ١٣٣٧هـ - ١٩١٨م.
- حاصل على شهادة التفوّق العلمي ٢٠٠١م، بمحافظة حضرموت.
- نال درع مكتب وزارة التربية والتعليم م/حضرموت ٢٠١٨م.
- نال شهادة التفوّق في النشاط الفني والمسرحي بمكتب وزارة التربية والتعليم م/حضرموت.
- حاصل على شهادة عيد المعلم العربي من الاتحاد الدولي للمثقفين العرب ٢٠٢٢م.

سلسلة كتاب نادي الشحر الأدبي (٣)

# أحلام مؤجّلة

**سلسلة كتاب نادي الشحر الأدبي (٣) لعام ٢٠٢٥م**

**عنوان الكتاب:** أحلام مؤجَّلة (مجموعة قصصيَّة).

**للقاص:** علي حسين المقدي.

**الحجم :** ١٤ × ٢١ سم.

**لوحة الغلاف:** للفنان محمد سالم بن داود (أبو هيثم).

**تصميم الغلاف:** حُسام علي بامحسون.

**الناشر**

**نادي الشحر الأدبي**

**مدينة الشحر – محافظة حضرموت – الجمهورية اليمنية**

**بتمويل**

**مؤتمر حضرموت الجامع بمديرية الشحر**

**الطبعة الأولى**

**١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م**

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي.

سلسلة كتاب نادي الشحر الأدبي (٣)

# أحلام مؤجَّلة

(مجموعة قصصيّة)

علي حسين المقدي

## الإهداء

إلى أحلامي المؤجلة .. وكفى

علي

## تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا وشفيعنا وقرَّة أعيننا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد: فها نحن في نادي الشحر الأدبي مستمرون في مشروعنا التثقيفي الذي نسعى أن يكون قدوة يحتذى بها ونبراساً ينير السَّبيل لمن سيأتي بعدنا من الأجيال الحضرميَّة القادمة.

"أحلام مؤجَّلة" للأستاذ القاص علي حسين المقدي هو الإصدار الثالث ضمن سلسلة "كتاب نادي الشحر الأدبي" وهذه السلسلة بدأت بكتاب "الأستاذ عبدالرحمن الملاحي وتراثه العلمي والأدبي" ثم كتاب "الأعمال القصصيَّة الكاملة" للأديب القدير أحمد عبدالله بامدحج؛ وسيتبع هذا الإصدار إصدارات أدبيَّة وثقافيَّة قادمة - قريباً - بمشيئة الله تعالى.

فالاهتمام بإصدار المؤلفات الأدبيَّة والثقافيَّة يساهم بشكل ملحوظ في ثراء الحياة الثقافيَّة في عموم البلاد التي تعتني بهذا الجانب وبهذه الإصدارات، والدَّمج في الاطِّلاع بين المؤلفات الحديثة للأدباء والكُتَّاب المعاصرين ومن السابقين الذين أثروا الحياة الثقافيَّة بالمدينة العتيقة "سُعاد"

خلال القرن العشرين الميلادي، هذا الاطِّلاع يورث للمُتلقِّي والمُتثقِّف ذخيرة أدبيَّة واسعة تساهم في تحديث الفكر الأدبي المعاصر وأساليبه ومناهجه، ولهذا نحن في إدارة نادي الشحر الأدبي نهتمُّ بهذه الإصدارات القيِّمة التي نجزم بأنها ستصبح يوماً ما إلهاماً ينثر عبيره الفوَّاح في أرجاء الحياة الثقافيَّة بحضرموت والوطن بشكل عام.

وهذا الإصدار الذي بين أيدينا يعدُّ بداية التعامل الثقافي - المثمر بإذن الله تعالى - بين نادي الشحر الأدبي ومؤتمر حضرموت الجامع فرع مدينة الشحر، حيث أن التفاعل الثقافي الجميل الذي يبديه الشيخ صالح حسين السعدي رئيس مؤتمر حضرموت الجامع بمدينة الشحر أنتج هذا الكتاب، وفي قادم الأيام سينتج هذا التفاعل الثقافي حراكاً ثقافياً وأدبياً في المديرية، فله منَّا جزيل الشكر والتقدير.. وإلى لقاءٍ ثقافيٍّ جديدٍ أعزائي.. والحمد لله رب العالمين.

**أ.عادل حاج باعكيم**

**رئيس نادي الشحر الأدبي**

**٣ مارس ٢٠٢٥م**

## المقدِّمة

أعزائـي القـرَّاء، هـذه مجموعـة قصصـية قصـيرة، اخْترتُ لها عنوان: (أحلام مؤجَّلة) وهي المجموعة القصصية الثانيـة. أمـا المجموعـة القصصـية الأولـى، فقد صـدرتْ عـام ٢٠٢٢م عن دار الأسعاء للدراسات والنشر بعنوان: (الأحلام تبتسم). هدفي من نشرها؛ اطلاع عشَّاق وكتّاب هذا الجنس الأدبي الجميل، على نماذج لا أشك في أنها ستثيرهم إيجاباً أو سلباً، لكنها ستترك في أنفسهم شيئاً من رغبة في الكتابة. كل منا يشبه الكتب. نحن في داخلنا حكايات وأحاسيس مبعثرة، وأفكار وتجارب حياة، فعلى الكاتب أن يجعل من الحكاية عموداً فقرياً لقصتهِ، فالقصة فن أدبي سردي يعتمد على الحكاية، وهي عبارة عن سرد لأحداث واقعية أو خيالية أو الاثنينِ معاً.

هذا كله فضاء واسع وقالب أدبي لقصص قصيرة، على جانب من التشويق والإمتاع، كل قاص له أسلوبه الخاص؛ فقد طرقتُ أنواعاً من القص الكلاسيكي والحديث،

وخاطبت ضمير الغائب، وهي تعدُّ افضل من طريقة الترجمة الذاتية، التي يلجأ إليها القاص لاستخدام ضمير المتكلم. طرقتُ الطريقة الحديثة التي يتم فيها العرض منذ لحظة التأزم، ثمَّ الرجوع إلى الماضي؛ ليروي البداية. وهناك طريقة أخرى، نسميها طريقة الارتجاع مُبتدءاً بالنهاية، ثمّ يعود فيروي القصة كلها. هكذا تسير الأمور في القصة القصيرة.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر وفائق التقدير للشيخ صالح حسين السعدي رئيس مؤتمر حضرموت الجامع بمديرية الشحر على دعمه للمناشط الثقافية بالمديرية كما أشكر إدارة نادي الشحر الأدبي على ما يقومون به من نشاط ثقافي وأدبي أعاد لمدينة الشحر العريقة ريادتها في المجال الثقافي والأدبي..

**المؤلف**

# لوحة حلم

لقد مضى أكثر من ساعة وعيناك تحدقانِ في صورة ذلك الشاب؛ رث الثيابِ، شارد الذهن. ما أستغربهُ أنك في كل تحديقة تذرف الدموع! أيعقل أنك تشفقُ عليه؟! يبدو أنها حقيقةً. وقفتك هذه كالصنم. ونظراتك توحي أنك قد عرفت سراً. هل أدركت أن الإنسان ضعيف. وما هو إلا مجموعة من المشاعر. وأنهُ قد يتعثر ويسقط ويتحطم وينكسر من كلمةٍ أو تصرف تافه، لا يلقى له بالاً.

إن انتقاص الأخرين، سلاح يصيب القلب. وينهش الفكر، ويشل الحياة في الجسد. إنه يقتل! لقد كنت بارعاً في استخدام هذا السلاح؛ لحماية كبريائك. تارةً بكلمةٍ وتارةً بنظرةٍ ساخرةٍ، من هاتينِ العينينِ. نعم من هاتينِ العينينِ انفسهما اللتينِ تملؤها اللحظة دموع الشفقة والعطف. اعذرني يا سيّدي، لم أضف شيئاً من عندي. فدعني أبرهن لك بذكر تلك القصة، التي حدثت لك في حصة اللغة العربية. إنها تلك اللحظة المشؤمة، عندما أتى إليك ذلك الطفل قائلاً: معلمي

أنظرْ ماذا رسمتُ.. اذكرْ ذلك الوجه الوضاء والعينينِ اللامعتينِ فرحاً وأملاً. اذكرْ تلك الابتسامة التي رُسمتْ على شفتيه، عندما ناولك لوحة الرسم خاصةً. أتعرف ماذا رسم؟ لقد رسم طفلاً يمسك بيد أمه. هل عرفت ماذا كانت تحتوي لوحة الرسم تلك؟ لقد كانت مبطنة بصورة حقيقية لذلك الطفل وهو يمسك بأمه. تم التقاطها قبل شهرين من وفاة أمه. هل خطر ببالك ما فعلت به؟ لقد رميت بتلك اللوحة على الأرض. وصرخت في وجههِ ساخطاً. وضربت الطاولة بقوةٍ؛ مما جعلك توقع الكأس المملوء بالماء. أتعرف أين وقع الماء؟ لقد انسكب مباشرةً على لوحة أُسامه وأتلفت رسمته التي لم يكن يعنيه فشل أو نجاح محاولتهِ في الرسم. كم كانت تعني له صورة أمه التي أفسدتها. لقد حطمت حلمه البريء، وجرحت مشاعره وكسرت خاطره.

لقد كان أُسامة يعد الصورة كنزه الجميل، الذي تختبي فيها روح أمه. كان يضعها كل يوم على وسادتهِ؛ لتحكي له أمه قصةً قبل النوم. كان يحتضن اللوحة كل يوم يحنُ ويشتاق لأمه. كان يهرول إليها في كل لحظة ضعف. أنه يحسُ بدفء

أمه وحنانها ويستمد قوته منها. كم هو مسكين ذلك الأُسامة! ترى كيف كان شعوره؟!؛ عندما يرى أمه تموت أمام عينيه مرةً أخرى؟ ألا تشعر بالأسى والخزي والعار؟ كان يكفي أن ترجع له اللوحة سليمةً. لو أنك فعلت ذلك؛ لما اضطررت للتحديق في هذا الشاب؛ الذي أثار شفقتك وذرف دموعك. لما رأيته هكذا. بهذه الثياب الرثة. وهذا التيه والشرود؛ اللذانِ يلازمانه بضع ساعات ثم ما يبرح حتى يصرخ بائساً في الشوارع يبيع لوحات رسم فارغة وألواناً.. أتسمعه يصرخ بعبارته اليومية، مَنْ يشتري صورة حلمي، ليرسم صورة أمي؟ أظنك الآن أدركت جيداً ذلك الشعور.

## الحُب الأبدي

جلستُ على الكرسي، ووضعتُ أدوات الرسم على الطاولة؛ بجانب المزهرية. فناولني الجرسون، (النارجيلة) لكني رفضتها على الفور. ثم قدّم لي طلبي؛ قهوة (النسكافيه). كنتُ أتأمل المكان الذي أجلسُ فيه. مقهى ساحر جذّاب، يقال له: مقهى (زهرةُ البستانِ) في وسط القاهرة. يشتهر بجمال أشجاره وورود. وهو مقهى عتيق، يرتاده كبار الأدباء والشعراء والمثقفين. المقهى شبه خالٍ في ساعته الأولى. المذياع يبثُ أحاديثَ مملةٍ، لا تسمن ولا تغني من جوع. ارتشفتُ فنجان القهوة البرازيلية؛ المتميزة المذاق. لم يتبقَ في قاع الكوب إلا قطرات قليلة. أعلنتْ شمس الصباح عن حضورها، وشعشعت بخيوطها الذهبية؛ على خدود الورود. وفي روعة هذا الصباح؛ نوقد لنا من سراج الأمل حكاية، خيوطها زهرية. تنسدلُ من آفاق أحلامنا. لست في حاجة إلى الاختباء؛ خلف الضمائر الغائبة، كما يفعل الكتّاب. فأنا أتحدَّث بضمير المتكلم. منتظر في هذا المقهى الأنيق، شخصية أنيقة.

فريدة في اسمها وجمالها. لم نتعارف بعد؛ بلغة الكلام. أودعت قلبي هناك، حيث نبض في أول لحظةٍ. إن العشقَ أصله نبضة وليس نظرة. شاء الله أن نلتقي يوماً، ويجمعنا القدر، فقد بلغ الحنينُ بقلبي منتهاه. فحبك ليس وهماً ولا سراباً؛ بل عشقاً وغراما. ارتشفتُ ما تبقى في الفنجان من قهوةٍ، وأحسستُ بقرب اللقاء. أتت جيهان متأخرةً. مرت بجانبي. شعرتُ برهبةٍ وقشعريرةٍ في جسدي. سماءُ الصباحُ تسكبُ عليها من زرقتها الهادئة. صمتتْ طويلاً وتقوقعت، متوشحةً بابتسامةٍ عريضةٍ على وجهها المتورد. نظراتها ثابتة. بالكاد تلتفت. خشوعٌ مُهيبٌ غارقةٌ فيه. حيث تشرق الشمس؛ تغزل في عينيها خيوطَ محبةٍ، تسحر مَن نَظر إليها. وحين تلمع في عينيها العسليتينِ، تزداد جمالاً على جمالها. عيونها تبتسم. وطرفهِ بالسحر مكْتحِلاً. أذوبُ شوقاً؛ حين تغازلني. سبحان من أعطى العيونَ بلاغةً، نطقت محاسنها بغيرِ كلامٍ. إنها الملكة المتوجة بتاج الجمال. ما كان منّي؛ فهذا الحُبُّ لي قدرٌ. شرعتُ برسمها. رسمتُها. رسمتُ جمالها وحلاوة عينيها. رسمتُ قلبها وجمال أدبها. ناطقتها بريشتي. فناطقتني بجمالها. ناولتها لوحتي، فمدت يدها في خجلٍ. رقيقةً كالغصنِ المائلِ.

ينفحُ منها عودُ المسكِ. همستْ وهَمْساتها كالسحر. نظرتُ عن قرب في عينيها. عيناها حينما تبتسمانِ، ابتسامتهما صافية؛ عذبة جميلة أخَّادة، تبقيكَ مكبلاً. تحركت الشفايف عن صمتها، فخرج الكلام. وكان البوح لا مثيل له. اعتذرتْ بخجلٍ وتبسمتْ، حتى ظهر بياض أسنانها، ذو فرقةٍ في الرباعية. عليها وشاح فضي؛ يحمل اسمها (جيهان). يشع منهُ صفاء قلبها. أطيرُ بعدها عصفورةً في بساتين الحياة. أقفُ على غصن الذكريات. تهللت أساريري بتلك الابتسامة الآسرة. حديثها شيّقاً، هادئاً رصيناً. عكس ثقافتها الواسعة. لا تحب أن تبوحَ بأسرارها. ولم يحدثْ أن تحدثتْ عن نفسها لقريبٍ. حدَّثتني عن طفولتها وبراءتها، وأيام الدراسة، وإنها لا زالت تحنُ عليها. فهي متفوقة على زميلاتها، ونفسها تواقة لحمل شهادة الدكتوراه. فهي فضيعة في مجال الأدب وتحب الشعرَ والقصة. بل هي بارعة في الوصف الفني والسرد الحكائي. لكن أحلامها توقفت عند حد السيف. غصباً عن إرادتها. ولا زالت محتفظة بصورةٍ تذكاريةٍ؛ يوم إنشادها مع الفرقة الموسيقية. في حفل نهاية العام الدراسي. نبرات صوتها جميلةً. تغرد كالعصافير. وتطير فرحاً كالنورس في السماء،

محلقةً على شاطئ البحر. كانت مميزةً بجمالها وسحرها. وهو ما أوقعها في زوج لا يعرف للحب قيمةً. فتزوجت قبل نضوج واكتمال أنوثتها. في زواج فاشل لا طعم له ولا رائحة. وهي الطفلة البريئة الصغيرة المدللة. فعاشت في حرمانٍ وعذابٍ. فماذا أقول وعيني تبصر العجب؟! ويلٌ لمن نهب الأحلام واغتصب. انهمرت الدموع من عينيها بغزارةٍ، وسال فوق خدها وبلل عقدها. وغسل قلبها من الأحزان. ما أجمل اللقاء! سأُهديكَ مسك الأماني. كم تمنيت هذه اللحظة من قبل، كم تمنيت أن تكون آخر أحلامي. فلم يعد لي حلمٌ سواكَ. ضمني فأنتَ الحلم والأماني. هيّا بنا نحلق بحبّنا في الفضاء، فالحب روح للحياة. هيّا بِنا إلى جنَّة الأحلام، نرسم قصَّة حُب أبديَّة على لوحة الزَّمان.

## وجدت حلمي

وصلت فردوس إلى محطة الحافلات وحيدةً، لم يكن بها من أحد سوى رجلٍ بيده ركوة وعصا. وقد انحنى ظهره وأخذ الزمن منه ما أخذ. يداري همه، ويطرق إلى الأرض دائما بعصاه، وينظر إلى ساعته كل فينة وأخرى، وقد انتصفت الشمس في كبد السماء. رجل وسيم؛ ذو تجاعيد، لم تستطع السنون إخفاء وسامته، وامرأة جالسة على مقربة منه، عليها نظارة طبية وطلعة بهيَّة. تحمل على كتفها حقيبة ذهبية. في انتظار الحافلة. سلمتْ فردوس عليها، وجلستْ بجانبها منتظرة الحافلة. لم تعرفها في بادئ الأمر وتبادلا أطرافِ الحديثِ. منْ؟ فردوس! كيف حالك؟ الحمد لله. قولي لي مبروك! لقد تزوجت قبل أشهر؛ رجلاً انيقاً في الأربعينات من العمر، قد تزوج قبلي بامرأة. لمحته يطيل النظر إلى إحدى اللوحات في معرضي. خفق قلبي، عرفته رغم السنين التي ألقت بثقلها على قسمات وجههِ؛ وأكسبته هالةً من الشعر الفضي، تضيء وجهَهُ. كانت بيننا قصة حبّ غريبة، تعارفنا

قبل سنوات في مبنى الكلية عن طريق الصدفة، في وقت الاستراحة في مقصف الكلية. صحيح هو يكبرني بعدة سنوات، لكن له قلب رحيم، وعليه علامات الشهامة والخلق الحسن. هادئ الطباع يحب الشعرَ والرومانسية. اقتربتُ منه؛ هل أعجبتك هذه اللوحة، أستاذ أحمد؟ إنها رائعة. سأشتريها وأكتب قصيدةً عنها. حينها التفتَ نحوي، التقت أعيننا، أصابه الذهول! هل تعرفيني؟ أعرفك أستاذ أحمد الشاعر الرائع. الذي يحلم بحياة مفروشة بالورود، تحقق له ما يصبو إليه. في حياته. صراحةً يا سوسن؛ دخل قلبي من أوسع أبوابه، وأحببته حباً صادقاً من أول نظرة، وهو حبيبي وروح قلبي. وأني سعيدة به في تكوين أسرة يعلوها الابتسامة والمحبة. وقد عملنا فرحنا في قصر (لازوردي) الفخم، وكانت ليلةً رائعةً. لا يزال وسيماً رغم غدر السنين، رشيقاً كما عهدته. نظراتي تتغلغل بعمق في قسمات وجهه؛ فتفضح ما يعتمل في صدري. هو الشاعر الذي ملأ الكون شدواً واقتحم قلوب طالبات الجامعة، وأنا واحدة منهن. يمتلك زوجي (فلة) فاخرة جميلة، رائعة التصميم الهندسي. فيها كل شيء جميل. أشجار وورود ومسبح وإضاءات مبهرة. وفيها وسائل الراحة التي أحلم بها.

لأعيش حياتي الخاصة، بعيداً عن الفقر والجوع. كنتُ أحلم أن أكون دكتورةً يشار إليَّ بالبنان وهو ما يحقِّقه زوجي الآن .لا أحبُّ القيود، ولي فلسفتي الخاصة.

لقد سئمت حياة الفقر والكآبة وتحطيم الأمنيات. وودعتها غير مأسوف عيها، ودخلت سفينة الحلم وهي تبحر بي إلى شواطئ جميلة ناصعة البياض. تحلق فوقنا النوارس وتفرش أجنحتها في السماء. لقد سلكتُ سُبل كثيرةً وَقطعتُ مسافات طويلة، حتى وجدتُ حلمي. حلمٌ كنتُ أنتظره بفارغ الصبر، فالحلم أصبح حقيقةً وحقيقتي كانت حلما.

## مقهى شحري

نحن لا نعرف الذكريات الجميلة، إلا بعد الرحيل. لأن لهذه الذكريات مذاق خاص؛ في حضرة الغياب. ولجتُ لأول مرة، مقهى شحريّاً قديماً. يقال له مقهى مبارك يسلم النوبي. الواقع بين حصن بن عيّاش التاريخي ودار ناصر. تصاحبني ابتسامتي، التي تُهيء لي الوصول إلى وسط المقهى. سلمتُ على الحاضرين ثم تشاغلت بساعتي (بو صليب الفضية) وتظاهرتُ بأنني من مرتادي هذا المقهى الشعبي، والذي يعتمد على الفحم؛ في تجهيز الشاي. وعلى لبن الغنم. الجو كان حارًا. لكن المقهى اعتمد على بعض الأبواب البحرية، والتي ينسنس منها الهواء الطيب العليل، الآتي من بحر العرب؛ وميناؤها البحري المشهور. والذي يقال له : ميناء الشّحر التاريخي. هذا الميناء كان يُصدّر منه اللبان والعنبر الشّحري والبخور بأنواعها. في المقهى جوٌ جميلٌ. ينشر السكينة والألفة والمحبة. إنها استراحة لكل الأطياف. بل هي سوق من أسواق العرب القديمة. فيها التاجر والشاعر

والأديب، ويرتادها كثير من المعلمين. وكلٍ يطرق الحديث في مجاله. وهناك الحضري والقروي والبدوي، الذي يشتهر بشرب النارجيلة (الرُّشبة). تدخين التبغ الغيلي. وقد رأيت العم جمعان عرابي. وهو (دوَّاري) المقهى. يباشرهم بوضع التبغ في (البوري)، فيطيب الهاجس عندي البدوي. وينسى تعب البادية وضربات الشّمس، ويرتشف ما طاب له من الشاي، بقروشٍ قليلةٍ. جلستُ على مقعد مصنوع من خشب الساج. صنع محلي، ذات جودة عالية في القوة والمتانة. ومن حولي مجموعة من الدراويش؛ يقال لأحدهم (سعيودي). أي سعيد عبود عرابي. رجل خفيف الدم، عليه شال أخضر وكوفية سواحلية. عندما رآني العم جمعان جالس على الكرسي؛ أتى إلى عندي. هو شخص في الستينات من العمر، لابس قرمة أبو عسكري، وعليه عمامة بيضاء. وعلى وجهه نظارة طبية، معصوبة من الخلف. نحيف الجسم، معتدل القامة. طلبتُ منه شاياً بالحليب. فباشرني وأحضر لي كوب شاي (برقش) صيني مع الصحن. فبدأتُ أرتشف الشاي، الذي يتميز بطعم لذيذ بنكهة الهيل. لذته آتية من لبن الشاة الحمراء. لأنها منيحة. طابت الجلسة وطبتُ أنا أُنساً وسروراً، مع ما يدور من

أحاديث في الرياضة بين الشّباب والكوكب. وأشعار الشعراء؛ قزيل وسوّاد والمحضار. فالمقهى مركز ثقافي شعبي. بينما وأنا أتفرَّس في الوجوه. رأيتُ ثمة رجال في العقد الثاني من العمر؛ يحملون البرسيم بلونه الأخضر فوق رؤوسهم، ويمرون بالشارع. ربُما هذه الطريقة تقيهم حرارة الشمس. ومن بعيد رأيتُ نساء شحريات، متحشمات بالشّيدر الشّحري واللبس الحضرمي العفيف. وهناك أصوات جميلة للهجة الشّحرية، لها نبرات وألحان وتقاسيم وترية جذّابة، تجبُرك على البقاء في سعاد والاستماع لها. وفجأةً مرت بجانب المقهى سيارة كبيرة ( البيكب) عجيب شكلها ولونها، ولها حكاية. لقد صنعت هذه السيارة جسراً من المحبة والعلاقات الاجتماعية بين الغيل وقراها والشّحر. وظلت دهراً من الزمن، شريان المواصلات شبه الوحيدة بينهما. ولا زال بصري يتابع وقوف السيارة. فتوقفت بجانب المقهى من الجهة البحرية، أي بالقرب من حصن بن عيّاش. فقفز من مؤخرة السيارة المسقوفة، رجل طويل القامة مَهْدار. يبدو أنه من جماعة الدراويش. يمضغ ( تانبول)؛ يقال له :علي الشمال. وهذا لقبه، لكن اسمه؛ علي أحمد مَخَرَّج. وهو ( الدرويلي) أي

( قريشبول) السيارة. وبدأ يُنزّل البضائع من داخل السيارة إلى المقهى. وخرج رجل من مقدمة السّيارة، قصير القامة، لابس فوطة قصيرة. على ما يبدو سائق السّيارة، وكان يدعونه رعوي. أي العم سعيد برعيَّه، واتجه إلى المقهى. وارتشف فنجان شاي. فالمقهى مطار مفتوح بدون جمارك. العشرات منتظرون حاجاتهم. من القضب والخضرة، التنباك، الخريف، البيدان و القصام... بدأ حديث الناس مع علي الشمال، فالكل ينادي عليه في جلب حاجته. وهو يرد عليهم طيب طيب. إنه منظر جميل يدل على التعاون، في نشر ثقافة المدن والقرى. في مشوار رحلة الشّحر التاريخية على سيّارة (البيكب). والتي تبدأ من الغيل، مروراً بالقارة، حباير، الصداع، الحوة، معيان المساجدة، الشّحر. والاستراحة في هذا المقهى، على رشفات الشاي والقهوة. بعد مرور ثلاث ساعات؛ في طرق ترابية متعبة. يا له من مقهى عجيب!، له نكهة خاصة ولهُ حكاية؛ لن تُنسى على مر الزمان.

## رحلة إلى المشقاص

حان موعد سفري. حملة حقيبتي التي فيها زادي. كان سفري طويلاً. وكانت وجهة رحلتي إلى المشقاص. ذات العمق التاريخي. والمشقاص تعني بائع اللحم. لكن المشقاصيين يسمون أرضهم (المشقاص). لأنها تقع في جهة الشرق . كانت السحب لا تزال في غفوةٍ؛ فوق سلسلة الجبال. تمددتُ على المقعد الأمامي، كأني على سرير فوق السحاب. وما أن بدأت معالم (رأس باغشوة) حتى رأيت زميلي يشير إليّ بكلتي يديه، من نافذة السيارة، إلى (الصُّروم) مطرح من مطارح البدو. وقد استقروا على سنام من الأرض الجرداء. إنه (صروم) - على ما يبدو - لأسرة منهالية؛ اعتادت في هذا الوقت أن تقطع مئات الأميال، من سيئون إلى نحو هذا السهل المشقاصي؛ على مقربةٍ من البحر. ففي الشتاء يجود صيد بحر العرب. دندن صديقي علي، بصوت شجى من التراث المشقاصي، ليقرّب لنا المسافة الطويلة. فبدأت قُصيعر وكأنها نائمة في أحضان البحر. كأمٍ ترضع طفلها. وعلى مقربة من

الشاطئ ينتصب حصن قديم مربع الشكل مع بوابته التاريخية. فقصيعر محاطة تماماً؛ بجدار من الطين، قبالة البحر. تقوم على حراستها عند الزوايا أبراج من الطين، منخفضة مستديرة، غير متقنة الصنع.

والسور يضم بداخله كل المباني المطلية باللون الأبيض. رأيت حول البيوت، بنات يتكلمنَّ اللهجة المشقاصية المميزة. هؤلاء البنات يجملنَّ وجوههنَّ عن طريق (الحز)،وهو(فشت) تشكل ثلاثة ندوب عمودية، طولها ثلاث بوصات، على كل خد؛ علامة الموطن. وقد غادرتْ قصيعر ماضيها على استحياء، فتقبلت العروس المشقاصية؛ مكياج المدينة. لكن الرجل يُزيِّن الذقن والأنف والجبين. وفي إحدى الزواجات، رأيت لعبة (الكمبورة) والتي لها قفزات وأصوات بدوية خاصة. وهي تشكل لوحة تراثية رائعة. بعدها دلفنا إلى مرفأ طبيعي، يقال له (القرين). هذا القرين إلى وقت قريب؛ بوابة العبور إلى سقطرى وسواحل شرق أفريقيا. رائحة السمك المجفف، تملأ المكان من حولنا. إنه (المنتوج) وهو سمك شبيه بالسردين، إلا إنه دقيق الحجم، لذيذ الطعم. وفي

حصن بن فارس، الذي يقع في سرار، على مرتفع من الأرض. توجد به مشاويف، في حالة الحرب يستخدمها الرماة. وعبود صاحب الحصن؛ من تجار زمانه، وعنده أملاك كثيرة. وفي (حصن البنديرة) الذي يعرف بحصن الدولة في الريدة. له طراز خاص من الشرفات ومحصن عسكرياً. وحصن الطيارة، الذي يعد بمثابة برج مراقبة للطائرات البريطانية. وعند آذان الظهر دخلنا مسجد (عدنيت) الذي بُنِيَ في عهد الخليفة العباسي المتوكل. واصلنا طريقنا إلى وادي بدش وهي مطارح جميلة مشقاصية المنبت والمنبع. هو وادي فريد يشتهر بخضرته الدائمة ووفرة مياهه العذبة. وبمعالمه التاريخية وقلاعه وحصونه الدويلة. على مدخل الوادي استقبلنا القرَّادي وهو على ما يبدو من هيئته مقدم قبيلة. عمامة مكورة على رأسه بوضعية خاصة. مغطى جزء من شعره الطويل. يحمل على كتفه الأيمن بندقية من نوع (ميزر) وحزام تاريخي الصنعة يحمل بداخله الرصاص. وعلى كتفه الآخر شال جديد؛ لونه أحمر. أخذنا المقدم إلى غدير (حوريت) الشهير. الذي ينساب منه الماء - من حجر صخري مرتفع بطول مترينِ تقريباً - على مدار العام. ويطلق

عليه محلياً (الضرع) لأنه تشكل على هيئة ثدي المرأة؛ يصب منه الماء بدل من اللبن. وحوريت، أي حورية. ملكة جمال ذلك الزمان. دخلنا (حصن العجيبة). الذي تم بناءه على صخرة مرتفعة عجيبة في قرية العجيبة، يبلغ ارتفاعه (٥٠ متراً). يوجد فيه باب من الجهة الشمالية، مجهز بسلّم من خشب الساج. يتم الصعود عليه، ثم يُسحب السلم إلى الأعلى للأمان. كما يسحب سُلّم الطائرة. هناك خصائص يتميز بها المجتمع المشقاصي في العادات والتقاليد كالمحاياه (التحيَّة) بملامسة الأنف. (ومهرجان الختان) فهذه العادة الغريبة وهي ختان الصبيان، والذي ينتقل فيها الصبي من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة. يلقي الشعراء والصبيان، القصائد وتقام زوامل، وتمتلئ الساحة بالرقصات البدوية الجميلة. وينظم الأهالي طقوساً فرائحية كثيرة كحفل الزواج. فكان الجو رائعاً. والسلا في قمة الروعة. لأن المشقاص مُتحف كبير. كل بلدة بمنزلة الجناح، يحتوي على الكثير من اللوحات التراثية والاثرية.

## سفينة الغرق ( أنيوكا )

إن الإنسانية كثيراً ما تعبّر عن نفس المشاعر، على اختلاف لغاتها وأديانها. ارتبك القلم وأبى أن يصوغ الجُمل؛ عن هذه الحادثة المأساوية، التي تُعرف عند البحّارة ضربة (عبدالكوري ). كانت كافيةً لشل حركتي وحواسي، وإدخال الخوف في قلبي. نتأملهم وهم ينتحبون، ترتجف ضلوعهم من الفاجعة. نشيج الحزن يخيِّم عليهم، صدى المأساة يتردد صداه آهات وزفرات؛ في عُمر الزمن. فأنا كئيب وكآبتي مجهولة من مسامع الزمن. لكن صداها يتردد ويقرع أجراسه. لقد احاطتْ بهم آلاف الدوائر المظلمة. كانوا يخرجون من دائرة إلى أخرى أكثر عتمةً. جلستُ غير بعيد من شاطئ البحر أُقلب صفحات الماضي، فللذكرى ارتباط وللحديث شجون. انطلق السّيّد محمد من قريته (المقد) فجر يوم الأربعاء، قاطعاً مسافة أكثر من خمسة كيلو مترات؛ مشياً على الأقدام. إلى أن وصل ميناء الحامي، المكتظ بالنشاط والحركة. السماء غائمة ملبدة بالغيوم، وقدماه ثقيلتانِ، وألم الفراق بدأ ينحتُ في جسمه، وفي

نفسه حنيناً إلى قريته؛ جبالها وسهولها وخضرتها وذكريات الطفولة. فقد شاءت الأقدار؛ أن يودّع قريتهُ في حين غرةٍ من أهلها. وفي قلبه إحساس غريب ينذر بشيءٍ ما في ذلك الصباح الباكر، كانت أمواج البحر تغسل الهموم، ومنظر الساحل الجميل يفتح النفس. طيور النُوْرس تحلق في السماء، وحركة المراكب وصنابيق الصيادين؛ في تعانق مع موج البحر وزرقتها. السّيّد يخطو خطواته الأولى إلى داخل السفينة فزعاً؛ يداوي ارتباكه بالابتسامة. كان في القارب يمسح ذكرياته، المصحوبة بالفقر والجوع والفاقة، ويرميها في البحر لأسماك القرش. اكتشف في هذه اللحظة أن طقسه المفضل؛ هو التهكم على الوعي والذاكرة. إنها تشويهات غير مفهومة، وإن كان يبدو للمرء إنه محق في الإمساك بها. مشت السفينة تشق عباب البحر، وطريق سيرها زنجار. وهي المنطقة التي ترحّل إليها الحضارم، طلباً للقمة العيش. فهي حمّالة الثقافات.

وقد أبلى الحضارم في جزيرة زنجبار بلاءً حسناً. وأتقنوا اللغة السواحلية (بنا عرابوا) وكانوا مشهورين

بالأعمال الحُرَّة ونشر الإسلام. في زنجبار رزق الله السّيد محمد سعيد الخير الكثير، فقد تمكن خلال سنتينِ؛ من تجميع مبالغ نقدية، مكنته من شراء السفينة ( أنيوكا ). وأنيوكا هي سفينة خشبية، تتميّز بطولها وسرعتها. لذلك اسموها (الزّراق). تحركت السفينة من دار السلام إلى زنجبار، ومن زنجبار كان خط سيرها ميناء الحامي، الواقع على البحر العربي في حضرموت. الركاب دلفوا في السفينة. كان عددهم مائة راكب. كانوا فرحين، وفي قمة النشوة. بيوتهم البيضاء تترأى لهم شوقاًو فرحاً. النوخذة سواحلي، رجل بارع القامة، على رأسه كوفية سواحلية، لونها بني. واثنان مكنيكيان من أصحابه، بحريته كلهم حضارمة. أما حمولة السفينة، تناك سمن شغل (كسمايوه) وبرتقال وجوز الهند ومناحيز وذرة وأخشاب، وعدد عشر سدد خشبية عليها نقش جميل. وثلاث جواني مملؤة أعواد لعبة العدة، التي تشتهر بها حضرموت. تهيأت السفينة للإبحار، أبلغ المكنيكي النوخذة؛ أن مكينة الساعية الاحتياط خارج الجاهزية، لكنه أصرّ على الإبحار بها، رغم الخطورة المحتملة.

وفي الحال قام البحارة بجر الحبل، ومن داخل مقصورة القيادة؛ وجّه النوخذة السفينة إلى خارج الميناء، فاندفعت كالطود حتى غدتْ في عرض البحر تمخرُ. ولم تمضي ثلاثة أيام؛ إلا والسفينة بالقرب من الصومال، والتي طلب مالكها الدخول إليها، حتى يتمكن السّيّد من أخذ عائلته وأولاده، الموجودين هناك؛ من زوجته الثانية. لكن محرك الساعية أصابه العطل، فتوقفت السفينة شهراً كاملاً؛ صاريةً في عرض البحر، تتقاذفها الأمواج دون مُنقذ. فأخذتها المياه إلى جزيرة عبدالكوري؛ الواقعة في أرخبيل سقطرى. الركاب انتابهم اليأس والضجر، من طول المدة. الاكل بدأ ينفد، وبدأ الخوف يدبُ في قلوب الركاب. ومن بين الأمل والخوف هبَّتْ العاصفة؛ والرياح العاتية. وما أحدثوه في البحر من الاضطراب. وما ولدته من أهوال. فمن عاش هذه الحكاية؛ هو الراوي. ففي أجواء عام ١٩٥٧م وفي حدود الساعة التاسعة، هبَّتْ عاصفةً قويةً فجأةً وضربتْ السّفينة بعنفٍ. ارتفع موج البحر هائجاً؛ يغمرُ كل شيءٍ أمامه. مياهٌ كثيفةٌ تخترق جدار الأمل، وتغمر سطح السفينة، فتتناثر محتوياتها على الجانبينِ. وأصبح الموقف قريباً جداً من الغرق. بحارة

يركضون في الاتجاهات كلها، يتشبثون بما يصادفهم. ويعملون على نزح الماء من داخل السفينة، فتبدو تضاريس السفينة؛ وهي في مهبّ الضياع. أطواق نجاة في أحداق الغرق. عيشور كان نائماً في سابع نومة، رفس رأسه أحد البحارة، فقفز مذعوراً وهو غير مستوعب لما يجري حوله. عيشور أحد الناجين؛ من ضربة عبدالكوري. وهو يتحدث معي بلسانه عن هذه المأساة. ومازال يعيش في قريتي، على مسافة قريبة من مدينة الشِّحر. يا إلهي ماذا يحدث؟ السّفينة تغرق والقوم يحاولون إنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكن دون جدوى. ارتفع فوقنا الموج واشتدَّ الريح أكثر.

رمينا بكثير من حمول الساعية في البحر، حتى لا تغرق. ونحن منهمكون في الإنقاذ، أخذت الأمواج والرياح السّفينة عنوةً وضربتها في رأس الجبل؛ الذي لم نكن نراه. فأنقسمتْ السفينة إلى شطرين وتناثرت ألواحها. وأصبح الركاب كلهم في وسط البحر. لا نعلم إلى أين نتجه. كنتُ شاباً يافعاً أجيد السباحة والعوم. كل واحد منَّا يحاول الامساك بشيء، حتى ينقذ حياته. كنا ندعو الله في هذا الموقف

العصيب؛ أن ينقذنا من الموت. ويوصلنا إلى البر سالمين. تمسكتُ بإحدى السّدد والبعض تمسك ببرميل. والبعض الآخر بألواح السّفية. والبعض يتصارع مع أسماك القرش المتواجدة بكثرة في هذا المكان. اشتد الموج وحركة الرياح أكثر، ففلتت مني السّدة، فبقيتُ أسبح وأقاوم وتمسكتُ مرة ثانية بخشب من حطام الساعية، المتناثرة هنا وهناك. إلى أن وصلتُ إلى البر سالماً منهكاً، والبعض منَّا مجرد من الثياب، والدنيا ظلمة. لا ندري في أي ساعة من الليل. ولا توجد هناك أي إشارة؛ لوجود ناس في ذلك المكان.

تفقَّدتُ أصحابي عن طريق الصوت. حاولت أن أجمع قواي العقلية واسترد انفاسي. كنّا عشرة أشخاص فقط، في خور الجزيرة. وكان كثير من الأغراض موجودة بجانبنا، وخاصة جوز الهند. كنتُ جائعاً، فأكلت الكثير منه. أنّ المصير الإنساني يظل معلقاً بإرادة الله ومشيئته، أمام خطر الفناء في البحر. فقد كَتَبَ الله لنا العشرة النجاة من الموت. وغرق البقية وهم تسعون فرداً. تقاذفتهم الأمواج وتناثرت أجسادهم، منهم من التهمه سمك القرش. ومنهم من غاب، ولا

وجود لـه. والبقيـة تـم دفنهم فـي الجزيـرة. ومـن ضـمنهم السّيد محمد المقدي وابنه علي، بمساعدة الأهالي. والذين قدّموا لنا المشرب، والمأكل والمسكن. جلسنا في عبدالكوري ضيوفاً أربعة أشهر. حتى أتى عبري من الصومال؛ محملاً بالمواد الغذائية. وبعد تفريغ حمولته، أخذنا العبري إلى ميناء المكلا. وانتشر خبر هذه المأساة؛ في مدن وقرى حضرموت. وعمّ الحزن. وأعلن السلطان القعيطي الحِداد في لواء الشِّحر. ولا حديث للناس إلا ما حلَّ بشبابهم في فاجعة عبدالكوري.

## القهوة المالحة

أسبوع واحد؛ مر بالوفاء والتمام على انتهاء الدراسة الجامعية، وهي سنة التخرج، لنيل البكالوريوس، أعقبها مباشرة، حفلة التخرج. والفرحة الكبرى لاستلام الشهادة الجامعية، كان احتفاءً رائعاً، معطراً برائحة المسك والياسمين، تغمرهُ لذة الفوز وطموح المستقبل.. والبهجة والسرور، كان كل طالب يسرح ويمرح في بحار خيالاته وطموحاته، ونشوة النجاح تحلق في السماء عالية؛ مجموعة من الأحاسيس والمشاعر، بل مجموعة من الأحلام والطموحات. تتسلل إلى قلب شادي.

في نهاية الحفلة، تقدم إليها ودعاها إلى فنجان قهوة، تفاجأت نرجس بالطلب، لكنها قبلت الدعوة، خجلاً في الكافتيريا.

كان مضطرباً، لم يستطع الحديث، هي بدورها شعرت بعدم الارتياح، وكانت على وشك الاستئذان، على نار

هادئة. وفجأة أشار للجرسون قائلاً: رجاءً أريد بعض الملح لقهوتي.

الكل نظر إليه باستغراب واحمر وجهه خجلاً. ومع ذلك وضع الملح في قهوته وشربها! سألته بفضول : لماذا فعلت ذلك .. هل هي عادة تضع في القهوة ملحاً؟!

عندما كنت صغيراً، كنت أعيش بالقرب من البحر، بحر العرب، في مدينة يقال لها الشّحر. كنت أُحب البحر وأشعر بملوحته تماماً، مثل القهوة المالحة الآن.

كل مرة أشرب القهوة المالحة ؛أتذكر طفولتي، أتذكر بلدتي وأصدقائي

وأشتاق لوالديّ اللذينِ لا يزالان هناك، حينما قال ذلك، مُلِأت عيناها بالدموع. تأثرت كثيراً. رقّ قلبها. كان ذلك شعورها الحقيقي؛ من صميم قلبها. قالت في سرها بعدما نرجسَ روحها: الشابُ الذي يستطيع البوحَ بشوقه لبلده وأهله، لابد أن يكون رجلاً محبوباً. يشعر بالمسؤولية تجاه وطنه وتجاه أسرته. ثم بدأتْ نرجسُ، بالحديث عن طفولتها وأهلها

وذكريات الدراسة الجامعية. كان حديثاً ممتعا جذاباً طغت عليه النرجسية و انفتحت فيه القلوب؛ على المحبة والألفة. أستمرَّ الحبيبانِ في التلاقي، اكتشفت نرجس؛ أنه الرجل الذي تنطبق عليه المواصفات التي تريدها؛ ذكي، طيب القلب، حنون، كان رجلاً رائعاً وكانت تشتاق إلى رؤيته، كلما هب النسيم. وتكونت عندها قناعة تامة، بأن يكون هذا الرجل شريك حياتها.

فتزوجا وعاشا حياة سعيدة؛ مفروشة بالورود، في بيت الزوجية، وكانت كلما صنعت له قهوة؛ وضعت فيها ملحاً.

## بيلي

بيلي رجل مُشرّد، يعيش بلا مأوى في الشارع. تُعارك أمعاؤه الجوع. يطلب من الناس المساعدة، ليسد رمق جوعهِ وعطشهِ، هو من أصول عربية؛ شرَّدته الحرب ورمته في أرضٍ غير أرضه، غريب الدار والأهل. يعيش على بركة الله. يجلس كل يوم في وسط الشارع، ويمسك بيده كوباً. ويطلب من الناس، بوضع النقود داخل الكوب. وهي طريقة حضارية، لم تكن معروفة في السابق. آملاً أن يحصل على ما يكفي؛ كي لا ينام في الشارع ليلاً. لم يدرك بيلي أنه على وشك مقابلة سيدة؛ ستغير حياته إلى الأبد. هذهِ لك. خاطبها كمن يخاطب نفسه. لن أنام في الشارع إذاً، لِمَ منحتيني كل هذا؟ لأنني أؤمن أن ما تفعله من خيرٍ يعود لك. حتماً سأراك ثانيةً، إنني أعمل في الجوار.

حس بثقل الكوب، فنظر فيه. فإذا بخاتمٍ جميلٍ. أدرك أنه حين منحته سارة العشرين دولاراً؛ وقع منها خاتم زواجها الثمين، في كوبه بالخطأ. ركض خلفها ليعيد لها خاتمها. بحث

عنها لكنه لم يجدها. وحين فقدَ الأمل، وجد نفسه بالصدفة أمام متجر (الجوهرة). فقرر أن يدخل ويرى. أُريد معرفة كم يساوي هذا؟ إنه رائع! سأمنحك أربعة آلاف دولار. هذا كثير جداً، لن أنام في الشارع لشهور.. آه؛ إن ما تفعله من خيرٍ يعود لك، لن آخذ المال أبداً، ما الأمر؟ في الواقع غيرتُ رأيي.. أنا آسف، حين كان يمشي بيلي تذكر شيئاً: أنا أعمل في الجوار، حتماً سأراك ثانيةً، لذا ذهب ودخل المكاتب المجاورة يسأل عنها، لكن لا أحد يعرفها، فتابع المحاولة؛ وفي النهاية عثر عليها، أعتقد أن هذا لكي، وقع في كوبي، أوه.. لقد وجدتُ خاتمي. كنت أبحث عنه في كل مكان.

لكن لا أفهم؛ لماذا أعدته؟ كان بإمكانك أن تحصل على الكثير من المال. إنَّ حكيمةً قالت: (ما تفعله من خير يعود إليك). لا يمكن أن تتخيل ما يعنيه هذا الخاتم . لن أنسى هذا الجميل طول عمري. بدأت سارة من توّها حملة تبرعات على الإنترنت. حيث نشرة قصة إعادة بيلي للخاتم. تفاجأت حين انتشرت القصة على مستوى عالمي. بدأ الناس من جميع أنحاء العالم يتبرعون. وخلال عدة أيام، تمكنت من

جمع أكثر من مائة وتسعين ألف دولار، ثم ذهبت للعثور على بيلي، وفاجأته بهذا المال الكثير.. خذ هذا، لقد أنشأت حملة تبرعات وأخبرتُ الجميع بما فعلته من خير، لذا من اليوم يمكنك شراء منزلٍ، فرسمَتْ على شفتيهِ ابتسامةً وودعته بابتسامةٍ.

## ورقة التوت

أرغب دائماً في سرد حكاية، أكون قد تأثرت بها. كحكاية ورقة التوت. التي أثبتت فائدتها في السماء والأرض. فالشجرة التي استتر بأوراقها سيّدنا آدم عليه السلام؛ كانت شجرة التوت.

وهي نفس الورقة التي تحمي مدراءنا. ووجدَها كل مسؤول في الدولة؛ في صندوق بريده، إنها ورقة توت خضراء يانعة. كل مسؤول تناول ورقته، وأخذ يتساءل حول المغزى؛ والهدف من وجود ورقة التوت في صندوقه البريدي الخاص. وبصمت وهدوء، قام كل واحد بإخفاء ورقة التوت. وحكايتنا مع هذا المدير؛ الذي أسقط ورقته، بعدم التغافل، فانكشفت عورته. كان زميله زكريا من ضمن الموظفين، نشيطٌ وناجحٌ في عمله ، يقوم بكل ما يطلبُ منه؛ بذكاءٍ وسرعةٍ ودقةٍ. أنه يحقق نسبةَ إنجازٍ عاليةً ، لكنه يتأخر عن وقت الدوام. وهي حالة تتكرر عنده. ربُّما يكون لها مسببات.

وأشياء خارجه عن إرادته، لكنه لا يغادرُ مقرَّ عملهِ إلا آخر واحد في الإدارة، لا يطلب الإجازات إلا نادراً.

ذاتَ مرة تقدّم بإجازة ليسافر مع أصدقائهِ في رحلة بحرية، إلى جزيرة سقطرى، ليشاهد شجرة دم الأخوين والطيور النادرة وما يسمعه عن جمال الجزيرة.

فما كان منه إلا أن تقدَّم بإجازةٍ مرضيةٍ، خوفاً من رفض مديره. واتصل به مدعياً المرض، معتذراً عن الحضور. لكن المدير كان مشككاً في مصداقيته. فهاجت الأمواج التي في داخله تلاطماً، ولم يستطع إسكاتها. فاقتحم نفسه وصارع ذاته، فكان لزميله بالمرصاد.

ذهب المدير عادل باكراً؛ إلى بيت زكريا. وانتظرهُ أمام الباب. ثم قابله وهو يحمل معدات الرحلة البحرية.

كاد زكريا يذوبُ خجلاً وخوفاً، ووجههُ يتقلّب بين الاحمرار والاصفرار، وشعلةَ نارٍ تلتهب في صدرهِ. واجهَهُ وبيّن له، أنه لم يكن قادراً على خِداعة، وأنه ليس بتلك السذاجة التي يظنُّها.

وبرهن له؛ أنه كاذبٌ، وَطبقَ عليه القانون، وخصم عليه أيام الغياب، وتوعده بإزالته من على كرسيهُ، بعد أيامٍ تقدَّم زكريا باستقالته وكرِهَ العمل في هذه الإدارة الناكرة للجميل. وتمتم بِكلمات لم يُسمع منها؛ ألا حركة الشفاء. أليس يأخذ الإنسان بما له وعليه؟ نذكر سيئاته، في المقابل ذكر حسناته. هذه كانت آخر كلماته، قبل المغادرة. هكذا خسر المدير فارساً بعدم التغافل، وأسقط ورقة توته، وخسر جُهده ونسبةَ الإنجاز العالية، التي كان يُحققها ، وصار المدير؛ بحاجةٍ للبحث عن شاب، يمكنه أن يحقِّق ذات الإنجاز. كان غباءً منقطعَ النظير، اكتشفهُ بعد أن حنط ضميره في الصحاري القاحلة، التي لا زرع فيها ولا ماء. فكانت نتيجته الندم والتحسر. والسبب التضييق على الآخرين، إلى حد لا يطاق. وإغلاق منافذ الهروب.

مما يجعل الطرف الآخر؛ يهربُ مِنك وتَخسر جهده أو يتخذك عدواً ،في كل صغيرة وكبيرة. فيكيدُ لك كيداً. لذلك أجدر لك أن تختارَ اللحظةَ المناسبة. لتسمحَ للطرفِ الآخر أن يتراجَع، وأن يهربَ بِكرامة، هناك بعض الأخطاء؛ تحتاج إلى

التغافل عنها.. فلنتغافل. فبعضُ التغافل مفيدٌ. كم نشعر بالنّدم على قِلّة تفهُّمنا، وعدم التماسنا العذر لغيرنا؛ على ارتكاب أخطاءٍ؛ وجدنا لأنفسنا ألف عذرٍ ونحن نرتكبها!

لن تكون منتصراً فعلياً؛ فيما لو كشفتَ المرء أمامكَ وأمام نفسه حد التعرية، التّغافل هو ورقة التوت التي تسترنا وتحمينا.

## الورقة الصغيرة

كل عام كان والدا الطفلِ "زكريا" يصطحبانه في القطار، من المكلا إلى سيئون، عند جدته لأمه ،مريم. حيث الخضرة والطبيعة، والقصور العتيقة الجميلة، و السهول والوديان؛ العامرة بالحيوانات البرية، ليقضي عطلة الصيف مع أصحابه، الذين تعوّد زيارتهم كل سنة، ويعودون بعد هذه الرحلة؛ إلى مدينتهم المكلا، عروس البحر العربي، محملين بالتمور والمكسرات الحضرمية.

في إحدى الأعوام قال زكريا لأبويه: أصبحتُ كبيراً الآن. ماذا لو ذهبت لوحدي؟ إلى جدتي في العام المقبل.

وافقت أمه بعد نقاش قصير. وها هما في اليوم المحدد، واقفانِ على رصيف المحطة في (الشرج) يودعانه. ويكررانِ بعض الوصايا عليه...وهو يتأفف من عدم ثقتهما به.

لقد سمعت ذلك منكما كثيراً!

وقبل أن ينطلق

القطار بلحظةٍ،

اقترب منه والده وهمس له في أذنه؛

(خذ هذا لك) إذا ما شعرت بالخوف، ووضع شيئا بجيب طفله.

جلس زكريا وحيدا في القطار، يشاهد تتابع المناظر الطبيعية من النافذة. وفجأةً يسمع ضجةَ الناسِ الغرباء تعلو حوله. حتى مراقب القطار تعجب! ووجّه له بعض الأسئلة؟ كونه دون رفقة، وهناك امرأة رمقتهُ بنظرةٍ حزينةٍ.. فارتبك. وشعر بأنه ليس على ما يرام، ثم شعر بالخوف. فتقوقع ضمن كرسيه. واغرورقت عيناه بالدموع، فتجلمد في تلك اللحظة؛ وتذكر همس أبيه، وأنه دسّ شيئا في جيبه، لمثل هذه اللحظة العصيبة. فتّش في جيبه؛ بيد مرتجفة وعثر على الورقة الصغيرة.. فتحها :( يا ولدي، أنا في المقصورة الأخيرة من القطار) .

## حارس ليلي

كانت السماء غائمة والجو جميل. الشمس ترسل أشعتها الفضية على شعره؛ فتعطيه لونا أشقراً جذّاباً؛ لا تملُ العين من رؤيته نرجسَ، في ذهولٍ! وسامةً وشعراً جميلاً كأنه ألوان الطيف، وخطوات ملائكية! ما هذا؟! إنه جذّاب، أتمنى أن أقضي بقية عمري معه. نظرتْ إليه طويلاً ثم اغلقتْ عينيها؛ لتقبض على تلك اللحظة، خشية هروبها. بعد أن اعتادت أن تبكي الوحدة؛ في ليالي الصمت. وصل أبو حسين إلى إدارته مبكراً، برفقة زميلته نرجس. بعد أن فطر في البيت، فقد جهزه له أم حسين الخبز والفول، مع شاي الحليب. وأتى إلى عمله مشياً على الأقدام؛ كعادته كل يوم، فرحاناً مستبشراً بيوم جديد، تتجدد فيه الأماني. سلّم على زملائه واتخذ موقعه في المكتب، وبدأ يباشر عمله بكل همة ونشاط. بدأت أنامله تداعب أوراق الواشرات في الفحص والتدقيق المالي. وبينما هو منهمك في العمل. يتفاجأ برسالة وخطاب التقاعد، وعليه مغادرة الإدارة في اليوم الثاني، تغلغل الندم

إلى داخله، تلعثمت لسانه؛ وتجمدت الكلمات بين شفتيه؛ لقساوة الموقف، وبدأ شريط الذكريات يستعرض أمامه، فعرضت عليه شاشة الذكريات، في هذه اللحظة، حكايته من أول ما وطأت قدماه هذه الإدارة، وكيف قابل المدير، ومنْ الشخص الذي رحب به، شاهد كيف وقعت عيناه؛ على عيون زميلته، من أول نظرة. العيون هي كل شيء. والنظرات هي ورطات قدرية مع المجهول. ظل حبّها في خياله ؛ لا تفارقه في منامه. وهي الآن أرملة، لكنها مازالت تمتلك الجمال الخارق. عيونها كالسهام تنفذ إلى قلبه؛ كلامها كالذرر وجمالها كالقمر، يزداد جمالاً ونوراً؛ ابتسامتها صافية كاللبن. ريقها عسلي. تعابير تُؤلفها الأماني. لا يحب البوح، بأسرار عشقه. يجلس ساعات طوال؛ ينظر إلى الأفق البعيد؛ حتى يتلاشى. تستهويه الأماكن الربوية المرتفعة، التي يكون فيها القمر قريب منه. يحاول يلامسه بأنامله، لكنه لا يقوى. فيظل يحاول ويحاول حتى يتلاشى. ودَّعَ أصحابه وداعاً حاراً، وتوجه تلقاء البوابة الرئيسية، مُلملماً شتات نفسه. في وداعه الأخير إلى زنزانة أم حسين.

أصبح تواجده في المنزل دائماً مملاً، حيث كثرت انتقاداته لزوجته؛ في شؤون البيت وكثرة صراخه لأتفه الأمور العائلية لعنت الساعة السودة التي تقاعد فيها، وخاصة زوجته. أحس أن الكل متضايق منه. فقرر أن يجد طريقة؛ يقلل فيها من تواجده في البيت.

فعمل جدولاً لحياته، من خلال المشي على شاطئ البحر. فمنظر البحر الجميل؛ وحركة الموج في المد والجزر، تمسح وتزيل المهموم والكدر .وعلى هذا الشاطئ التقى صدفةً بزميلته "نرجس". فطار فرحاً؛ واستعد لرحلة طويلة من الأمنيات. وحلقا معاً في السماء. بين طيور النورس و الحمام، مع تباشير ذلك الصباح الجميل ونسماته العليلة. اتفقا على أن يكون حارساً ليلياً عندها بعقد ونكاح شرعي. ونزلا مع المغيب من السماء على عش الزوجية.

وقفتْ نرجس أمام المرآة؛ تتفحص جمالها الأخّاذ، مزهوة بنفسها، فخورة بأن الزمن أخطأ رميته ولم يحفر أخاديده المعهودة في وجهها الجميل. في صباح اليوم الثاني؛

عاد أبو حسين إلى منزله. سألته أم حسين: خير وين كنت البارحة؟

أجابها: توظفت في عمارة حارس ليلي .طارتْ فرحاً إلى عند النجوم.

والله ما قصرت، أنت مازلت شباباً وتحب السهر. وَتكون قد شغلت نفسك بشيء يفيدك وينفعنا.

أصبح أبو حسين يرجع من بيت زوجته الثانية، في الصباح منهك وتعبان من وظيفته الجديدة. أما زوجته الأولى؛ فعليها مهمة تجهيز الفطور. وبعد الفطور يدخل غرفته وينام وهو مبسوط...

سالي، وأصبح معززاً مَكَرماً في بيته ببركة الحراسة الليلية؛ وعادت هيبته واحترامه وأعاد لعائلته الهدوء والسكينة؛ وأصبح شاباً تغمره السعادة والأمنيات.

## بلاد بلا سماء

قال السّيد مروان لبعض أصدقائه - وهم مجتمعون في غرفة مضغ القات، إحدى غرف فندق النشامة؛ الواقع بجانب سدة العيدروس التاريخية - سوف أحكي لكم حكايةً مريرةً عن الحرب في اليمن. أنتم تعرفون أن لي بيتاً في أبين، كنتُ أعيش فيه عندما اندلعت الحرب. كان لدي جارة عندها نوع من الجنون. أصبحت بلا حس؛ بسبب عدة أحداث مأساوية متتالية. في سن الخامسة والعشرين؛ فقدت حنان الأب والزوج وأمها وطفلها؛ حديث الولادة. وناحت المرأة الشابة كثيراً. وجثمَ عليها حزن شديد وخيَّمت الكآبة على عقلها ومشاعرها. مما جعلها طريحة الفراش؛ لمدة شهرين. ثم تخللت هذه الأزمة العنيفة بعض ذرات الهدوء، لكنها لازالت بلا حركة. جاورها فقدان شهية الحياة. كل مرة يحاولون إيقاظها؛ تصحو صارخةً، كأنهم يحاولون قتلها. فانتقلت بجسمها وعقلها إلى عالم الجن. في نهاية المطاف تركوها بالفراش، يأخذونها للاستحمام فقط من حين لآخر.

خادمة عجوز ظلت معها؛ لكي تعطيها شربة ماء، أو شيئاً تأكله؛ حينما يتوفر ذلك. أيُّ صور سوداوية أو أفكار تراود هذا العقل المكتئب؟ لا أحد يعرف. لأنها لا تتكلم مطلقاً، سابحة في خيال اللامرئي في عالم الغيبيات. ولا تنظر إلى العالم الإنساني. أصبحت فاقدة الذاكرة، كصاحب (الزهايمر). ظلت بهذه الحالة لمدة عشر سنوات؛ خاملة منعزلة عن الناس. اندلعت الحرب في فصل الشتاء القارس. أستطيع أن أتذكر هذا بكل سهولة؛ كأنه حدث الأمس. كنتُ متكئاً على كرسي، وإذا بالجنود يمرون بجانب نافذتي ويتدفقون إلى الشارع كالضفادع. في حركة غير مألوفة، تتصف بالغوغاء والفوضى. جارتي المجنونة؛ لا تحس ولا تدرك ما يجري حولها. من أعمالِ عنفٍ. بلاد بلا سماء. والأيام تتقافز. الضّباط في البيت المجاور تكلموا عن المرأة المريضة، ولم ينشغلوا بها كثيراً. هذه المرأة لم يطعموها، قالوا : إنها ماتت في الشتاء، ولم يهتم أحدٌ بتفاصيل ما حدث. أنا الوحيد الذي فكرت فيها. ماذا فعلوا بهذه المرأة؟ هل هربت إلى الغابة؟ هل وجدها أحد ونقلها إلى مستشفى المجانين في عدن؟ بدون أن يعرف عنها أي شيء؟ أخذتْ وقتاً تتملكني الظنون والأفكار

الخياليـة الواقعيـة. لكـن مـع الوقـت هـدأت مخـاوفي وهـدأت الحرب. في الربيع كان دجاج الغابة كثيراً، هذا ما فتح شهيتي للـذّهاب إلـى الغابـة. اصـطدتُ خمسـة طيـور مـن نـوع (الصخيري)، سقطت واحدة منها في حفرة؛ مليئة بالأوراق والأغصان الجافة. ذهبتُ لكي ألتقطها، وجدتها بقرب عظام جسد بشري ميت. في الحال استدعى عقلي المرأة المجنونة. ربُّما الكثير من الناس ماتوا في السبع السنين العجاف في الغابة. لكن دون أن أعلم. فجأة فهمتُ وخمنتُ كل شيء، إنهم طردوها إلى الغابة الباردة المنعزلة. تركوها تموت مع السُّكنْ والجن. نبشتها الكلاب والذئاب. والطيور حاكت أعشاشها من الصوف الممزق من ملابسها. هم عارم يعصف بنا، وما زالت النفوس مُنْكسرة و مُختنقة، لا تدري لماذا وإلى متى؟ كنتُ فقط أدعو الله أن لا أرى حرباً أخرى.

## أحلام على قيد الانتظار

هناك على مرأى الغروب؛ كتبتُ على جبينِ المساءِ رسالةَ حبٍّ، تبعثرت كلماتها في حقول اللغة، تبحث عن هوية عشقي. داعبتْ النسمات الناعمة كلِماتها. تشتعل شوقاً وحنيناً، تتمايل كلماتها؛ فوق صحائفي، وتذوّب مهجتي. أظلُ أراقب وأتحسس وأنظر واسترِدُ حروفي الضائعة. لقد امتلأت دفاتري بسطور عشقك. فأقمتُ لها من الأشواق صروحاً. لقد صرتُ كالهواء أو كالملائكة؛ أسهر في الليل سابحاً نحو الكواكب. ليتها تترجّل عن صمتها؛ وتبعد عن دائرة الضياع والأحزان. ظلت تبكي دون إجابة، وحوّلت نظراتها إلى عيني؛ فتلاقت النظرات التي تحمل مشاعر الحب والإحساس، لن تعبّر عنها الكلمات. لأول مرة ذرفتْ مقلتاها سائلها كجواهر صغيرة؛ أخذت مجرى على خذها. الدمعة المسكوبة لا تضيع وإنما تفتح نافذة للعاطفة تتنفس منها. دموعها ضحكة على الخد الحزين. كلما دغدغتْها العصافير في شجَر الذّكريات. ابتسمت ببراءة الأطفال. ذاكرتها أصبحت راكدة

مثل المياه، ليس بها أدنى موج. الشوقُ شوكٌ والحنين عذاب. والكتابة هي كوكبي البعيد، الذي أسبحُ إليه لتحقيق أحلامي. فأنا أستعد لرحلة طويلة من الأمنيات. فقد ولدتُ؛ على ضفتي الحلم. كانت أحلامي، أن أفتحَ كلُّ صباحٍ نافذةٍ تطلُ على عالمٍ مجهولٍ؛ من عوالم هذا الكون السابح في بحار الأسرار. وهي فعلُ هجرةٍ عن الواقع. فالحبُّ روايةً كَتبتُها في ربيع مزهرٍ، زرعتُ فيها بساتين الهوى شوقاً وعشقاً، جميلةٌ هي دروب عشْقنا. أستمع فيها قلبي لكل حكايتك، كرغبة طائرٍ يحلم بالأزهار ورحيقها. حين التقينا يا زُهرة ذاتَ ليلةٍ؛ ضحك لنا الوجود نرجساً ووروداً، كم أراني جمال العاطفة وأطلعني على أسراره الخفية. أدركتُ سر المكان والزمان. أجلستها على مُلك عرش أحلامي. العشق حولني صبياً يافعاً، وأتى بيانُ القلبِ يفصلُ حبه تفصيلا. كنتُ يا سيدتي يوماً أسيراً لعيونٍ لم أخنها في حياتي. العيون هي كل شيء، والنظرات هي ورطات قدرية ساحرة. عيناكِ بحرٌ يبوحُ بالأسرار. لا تتم مصادقة الأسرار إلا وأنتِ مستعينة بضوء روحك. أنتِ يا سيّدتي جذابةً وذكيةً. تعلقتُ بطيفٍ كاد يستلُ من القلب جمال النبضات. يعشق الحبُّ والفنُ. كان قلبي لك داراً ومزاراً. كم

هدّ صمتكِ أركان عشقي، فأمطرتْ سحابة دمعي سيولا. علمتُها كل فنون الهوى. بين بحور الشعرِ، من رجزٍ وقافيةٍ وموسيقى. أسمعتُها سيمفونية الأحلام. في حديقةٍ غناء؛ ازدانت بوردٍ ونوارٍ وزهورٍ. هي كالوردة في جمالها ورقتها وبهائها. إن الورودَ تظلُ رغم ذبولِها، معشوقةً في عُرفِ كلِّ الناسِ. نهرعُ إلى أمانينا الغابرة. أضع كل ذكرياتي في إطار امنياتي. أحياناً أتمنى أن يكون حلمي حقيقةً، وأحياناً أخرى أتمنى أن تكون حقيقتي حلما. فالحلم يشبه نجماً ينيرُ لنا الطريق، في وادي الأمنيات. وتبقى أحلامي على قيد الانتظار؛ بين الواقع والخيال. لماذا هي أحلامي عصيةً؟ ولماذا يزخرفُ الزمنُ خطوطَهُ عليها؟ تمر الأيام وهي بين حلمٍ وخيال. فأحلامنا هي بمثابة زهرة نسقيها بالدعاء، رغمَ أزليتها.

## لوحة الأرملة

منذُ صغره كان مولعاً بالرسم. وكانت هوايتة تجري في عروقه ودمه. و بسبب فقره لم يساعده أحد؛ على تنمية هذه الهواية. لكنه لم ييأس، بل صقلها بطريقته الخاصة. وكافح وصبر وتعلم فنون الرسم. وحقق أحلامه بفتح معرض لرسم اللوحات. كان أحمد فناناً مبدعاً متميزاً في رسم اللوحات الجميلة. مات أبوه وهو طفل. فتحملت أمه المسؤولية. فعلمته. وأوصلتهُ إلى هدفهِ.

كان هناك رجل ثري، يزور معرضه للرسم. فرأى لوحةً جميلةً، جذبت انتباهه. كما جذبت أنظار الآخرين؛ من الوزراء وزوار المعرض.

كانت اللوحة لأرملة فقيرة، يحيط بها أطفالها، وقد طُرِدتْ من مسكنها. وهي تقف تتذلل لرجل؛ هو صاحب البيت. وتتوسل إليه بدموعٍ، ألا يطردها. والرجل القاسي؛ يظهر في اللوحة. وهو يطردها مع الأطفال، بكلِ قسوةٍ.

وعيون الأطفال تنظر إليه؛ بنظرات الخوف والرعب. ولكن واحداً منهم؛ كان ينظر إليه بنظرة التحدي. والغريب أن هذا الثري، تسمرت قدماه وهو ينظر إلى تلك اللوحة. لأنه قد تذكر هذا الموقف. إنه هو ذاك الرجل القاسي. وأخذ قلبه ينبضُ والعرق يتساقط من جبينه بغزارةٍ، إذ رأى عمله أمامه. قرر أن يشتري تلك اللوحة؛ بأي ثمنٍ. ذهب إلى الرسام وقال له: أريد أن أشتري هذه اللوحة.

وقف أحمد وهو ينظر إليه بتحدي، لن أبيع تلك اللوحة أبداً! وستظل هنا، ليراها العالم كله، فبادره الثري. لماذا؟ لأن هذه الأم هي أمي. وأنا أحد هؤلاء الأطفال.

استدار ليهرب من أمامه، فقال له: وأنت هذا القاسي الذي لم يرحمنا. فتسمرت قدماه، وهو يحاول أن يلملم أشلاء نفسه. ودارت به الدنيا. فسقط مغشياً عليه. ولم يفقْ إلا وهو في القبر.

## فكرة مجنونة

جلس على السرير مرتخي العضلات، ممداً جسده. شارد الذهن، تدور في رأسه العديد من الخواطر والأفكار؛ حول ما يجب فعله. شاب طويل القامة، ذو بشرة سمراء. عريض المنكبينِ. شعره أسود لامع طويل، وعيناه بنيتانِ. عندما بدأت الشمس تخلد إلى النوم، عزم حسام أمره، وخرج من بيته ومعه معداته. سار حتى وقف عند شارع؛ مليء بالعديد من الناس المارة. كان يحمل في يده اليمنى؛ لوحة بيضاء طويلةً، مثبتة من الخلف بعصا، وعلى كتفهِ حقيبة سوداء.

وقف وثبَّت اللوحة على الأرض، ثم اخرج كرسيّاً بلاستيكيّاً صغيراً من الحقيبة السوداء، ووضعه بجوار اللوحة، ثم أخرج قلماً من الحقيبة، وكتب على اللوحة بخط كبير (قصوا لي شعري). ثم جلس على الكرسي المجاور للوحة، ووضع عصابةً سوداء على عينيه، وربطها من الخلف وهو يبلعُ ريقه في تخوّف من الفكرة؛ التي أصبح يظن انها

مجنونةٌ. ثم بسط ذراعيه للأمام. وكان في اليد اليمنى؛ ماكينة حلاقة إلكترونية أخرجها من الحقيبة. وفي اليد اليسرى مقص معدني. مرَّت الثواني عليه وهو جالس منتظر في هدوء، تعلو وجههُ ابتسامة سعيدة. بينما بدأت الناس المارة في الاقتراب منه والنظر بتعجب نحوه. تجمّع الناس حوله، وهم يتهامسون ويتحدثون. متعجبين وساخرين مما يرونه أمامهم. لكن حسام ظل ثابتاً مبتسماً لا يتكلم؛ رغم السّخرية التي كان يسمعها. بعد دقائق أدرك الناس أنه ليس مهرج. وإنه يريد منهم أن يقصوا شعره الطويل، لرغبةٍ عنده وليست خدعة طريفة لعمل فديو. سرعان ما بادر رجل بالتقدم، وأخذ المقص من يد حسام، وبدأ يقص شعره الأسود الطويل. حينها بدأ الناس بالهتاف والتشجيع، كأنهم في مباراة كرة القدم. وتصوير ما يحدث على هواتفهم. بينما هو يبتسم لهم ويحث الرجل ان يكمل، ويشجعه كي يقص شعره بأكمله. قص الرجل كثير من شعر حسام بعشوائية؛ حتى شعرَ أنه اكتفى، فنظر للخلف وهو ينادي منْ يريد التجربة؟! حينها رفع رجل يده، يقال له: سالم "مبيروك"، ثم تقدم وأمسك ماكينة الحلاقة؛ وبدأ يحلق شعره باحترافية ومهنية كانت تبدو عليه. بعد دقائق أصبح رأسه

أصلعاً والنصف الآخر متناثراً ومقصوصاً بعشوائية. عندما شعر حسام بذلك، بدأ يضحك بسعادة ويشكر "مبيروك" الذي يحلق له. ويصفق للناس لدعمهم له.

ورغم أسئلة جميع من حوله عما يريد من هذه التجربة! لكنه أخبرهم أنه سيخبرهم في نهاية الأمر. ظلت الناس تصفق وتنادي "مبيروك" كي يحلق جميع شعره؛ بشكل أسرع، حتى أخيراً انتهى من الحلاقة، وخلع العصابة من على عينيه، ووقف حسام يتحسس رأسه الصلعاء. فأنفجر بالضحك وهو مصدوم وفرحان من مظهره الجديد. ثم راح يسلم على الجمهور واحداً تلو الآخر، ويشكرهم بكل حيوية وسعادة نابعة من القلب. ثم رفع يده التي بها القلم وتأهب الجميع لقراءة ما سيكتبه، ثم التفت للوحة وكتب عليها، هذه فكرة مجنونة.

## صورة أبي

استيقظتُ في الصباح الباكر ولبستُ أجمل الثياب وهممتُ بالخروج، فإذا بيدٍ ترْبتُ على كتفي عند الباب، التفتُ، فوجدتُ أبي مبتسماً، ناولني بعض النقود وقال لي: كنْ يا محمد واثقاً من نفسك، ولا تهتز أمام أيّ سؤالٍ.

خرجتُ من البيت مسرعاً وما أن وصلتُ ودخلتُ من بوابة الشركة، حتى تعجبتُ كل العجب! فلم يكن هناك حارس عند البابِ، سوى لوحات إرشادية، تقود إلى مكان المقابلة. وبمجرد أن دخلت من الباب، لاحظت أن مقبض الباب قد خرج من مكانه، فقوَّمته. ثم تتبعتُ اللوحات الإرشادية، ومررت بحديقة الشركة، فوجدت الممرات غارقة بالمياه، التي كانت تطفو من أحد الأحواض الذي امتلأ بالماء. فقمت بسحب خرطوم الماء من الحوض الممتلئ ووضعته في حوض آخر. ثم دخلت مبنى الشركة متتبعاً اللوحات وخلال صعودي على الدرج، لاحظتُ الكم الهائل من مصابيح الانارة المضاءة ونحن في وضح النهار، فقمت لا إرادياً

بإطفائها. إلى أن وصلت الى الدور العلوي، ففوجئتُ بالعدد الكبير من المتقدمين لهذه الوظيفة.

قمت بتسجيل اسمي في قائمة المتقدمين وجلستُ أنتظر دوري وأنا أتمعن في وجوه الحاضرين وملابسهم، لدرجة جعلتني أشعر بالدونية من ملابسي وهيئتي. لاحظتُ أن كل من يدخل المقابلة لا يلبث إلا أن يخرج في أقل من دقيقة. فقلت في نفسي، إن كان هؤلاء بأناقتهم وشهادتهم قد تم رفضهم. فهل سأقبل أنا؟!

هممتُ بالانسحاب والخروج من هذه المنافسة. فتذكرتُ نصيحة أبي كنْ واثقا من نفسك. فمكثتُ منتظراً دوري وكأن كلامه قد أعطاني شحنات ثقة بالنفس، وماهي إلا دقائق، فإذا بالموظف ينادي على اسمي بالدخول. دخلتُ غرفة المقابلة وجلستُ على الكرسي مقابل ثلاثة أشخاص نظروا إليّ وابتسموا ابتسامةً عريضةً ثم قال أحدهم: متى تحب أن تستلم الوظيفة؟ فذهلتُ لوهلة وظننتُ أنهم يسخرون مني، فأجبتهم بكل ثقةٍ: بعد أن أجتاز الاختبار بنجاح، إن شاء الله. فقال آخر: لقد نجحت في الامتحان وانتهى الأمر.

فقلت: ولكن أحداً منكم لم يسألني سؤالاً واحداً! فقال الثالث: نحن ندرك جيداً إنه من خلال طرح الأسئلة فقط لن نستطيع تقييم مهارات أي من المتقدمين. ولذا قررنا أن يكون تقييمنا للشخص عملياً.

فصممنا مجموعة اختبارات عملية تكشف لنا سلوك المتقدم، ومدى الإيجابية التي يتمتع بها، ومدى حرصه على أملاك الشركة. فكنتُ أنت الشخص الوحيد الذي سعى لإصلاح كل عيب تعمدنا وضعه؛ في طريق كل متقدم، وقد تم توثيق ذلك من خلال كاميرات مراقبة وضُعِتْ في كل أروقة الشركة.

حينها فقط اختفت كل الوجوه أمام عيني ونسيت الوظيفة والمقابلة وكل شيء.. ولم أعد أرى إلا صورة أبي.

## فراسة الشّقراوي

بدأ يثق في نفسه. ويرى أنه غير غبي. كما كان يصفه معلمه السابق أبو جمال. الذي كان يتصف بالعصبية. شعر بقدرته على منافسة زملائه. بل والتفوق عليهم. والتخلص من ضعف الذات. ثقته بنفسه دفعته إلى الاجتهاد والمثابرة والمنافسة. غادر أبو جمال مدرسته، إلى مدرسة أخرى. وحل محله معلم آخر، يقال له الشقراوي. بدأ الشقراوي في شرح الدرس.

ثم سأل أحمد ؟ فضحك جميع التلاميذ. ذَهُل المعلم وأخذته الحيرة والدهشة! أدرك من خلال نظرات التلاميذ؛ سر الضحك. وأن التلاميذ يضحكون لوقوع السؤال على طالب غبي في نظرهم. خرج التلاميذ من الصف. فنادى الشقراوي على أحمد إلى مكتبه. وكتب له بيتاً من الشعر؛ على ورق مقوى. مكتوب بخط الرقعة. وناوله إياه سراً.

يجب يا أحمد أن تحفظ هذا البيت، كحفظ اسمك. ولا تخبر أحداً بذلك. كرس كل وقته لحفظ هذا البيت الشعري. وعقد العزم على الحفظ. فكانت النتيجة إيجابية، حيث غيّر هذا البيت؛ مسار حياته كلها، أجل، كيف لا وهو الدكتور الذي يشار إليه بالبنان في البلد. في اليوم التالي، كتب المعلم بيت الشعر على السبورة. وقام بشرحه، مبيناً فيه مواطن الجمال والمعاني والبلاغة. ثم مسحه وقال لتلاميذه: منْ منكم حفظ هذا البيت؟ لم يرفع أي تلميذ يده؛ باستثناء أحمد والذي رفع يده باستحياء وتردد. فأجاب بتلعثم. على الفور أثنى عليه معلمه؛ ثناءً عطراً. وأمر زملائه بالتصفيق له. وتشجيعاً لهذا الدكتور في المستقبل. فكانت فراسة الشّقراوي لا تخطئ. التلاميذ بين مذهول ومتعجب.

تكرر هذا المشهد الدراسي خلال أسبوع، بأساليب مختلفة مع المدح والإطراء من المعلم؛ والتصفيق الحاد من الطلاب. وكان أحمد متألقاً. بدأ أحمد يثق بنفسه ويرى أنه غير غبي. كما كان ينعته معلمه السابق. شعر بقدرته على منافسة زملائه، بل والتفوق عليهم. ثقته بنفسه دفعته إلى

الاجتهاد والمثابرة. اقترب موعد الاختبارات النهائية. نجح في كل المواد. دخل الثانوية بهمة عالية. زاد تفوقه. حصل على معدل أهله لدخول الجامعة. أنهى الجامعة بتفوق، واصل دراسته.. حصل على الماجستير. ثم الدكتوراه بامتياز. تقابل بالصدفة في عيادته مع معلمه الشّقراوي، وداوى جراحه بالذكريات.

## الرِّحلة من الطابق الأول

بـدأتْ الحركـة فـي شـوارع المدينـة طبيعيـةً. المـارة يمشون فـي طـريقهم السّـوي وأصـحاب التكاسـي والباصـات؛ فـي عـالمهم الـدنيوي. ازدحـام وحركـة، تسـير سـيراً طبيعيـاً. الشوارع بزينتها الخضراء، تعبقُ منها رائحة زكية، في ذلك الصباح الجميل، الذي يحجبُ وراءه عالم الغيبيات. فمن لا شيء، يحصل الشيء. الرحلة من الطابق الأول إلى الشارع، كرحلة العبور من حياة إلى حياة. ساعات الصبر مؤرقة. الشمسُ والأرضُ كلها تعيش بركاناً. الفجرُ كان ثقيلاً، وكأن خلل دخل عالمهم الإنساني. دموع اللهفة بين أثقال الأرض. حاولتُ ألا أرتدي يأسي وأبدو مطمئناً. لكنني لمّا رحلتُ إلى دواخلهم؛ عرفتُ بأنهم مثلي.

حوار مع الموت بين أكوام المدينة، معالم إنسانية خلف كواليس الإنقاذ، يتفاوتُ الحزن فيها بالفرح! أصبحت كلماتي تتوه، بين غزارة الدموع النازلة من المآقي. كم ليلة

مرت وصمتي ناطقٌ؟ كيف أكتبُ قصتي والقلم قد صمت من الألم والحزن؟ كل شيء تهدم. الأفكارُ ازدحمتْ في عالمي؛ وكانت ثقيلة. تنازعتني أحاسيس غريبة، تارة اضحك، وتارة أبكي، وتسقط دمعة حارة من عيني. علت الحيرة وجوههم، دون أن يفهموا ما يحدث! المبنى يهتزُ والدرجُ يميلُ، والحجرُ يتشققُ و حسامُ يقفز قفزاً؛ يسابق به الريح، يخاف أن يطبق عليه المبنى. نصف دقيقة أو دقيقة أمامه.

لم يعد لأي شيء في الدنيا قيمة إلا الروح. ترك ثيابه الشتوية ونزل إلى الشارع. أتشاهده وهو يتلو في قلب التربة اسفاره؟ مبانٍ هزَّها القدر فأدماها. نزل تسعة وعشرون طابقاً وغطس في باطن الأرض وبقى الطابق الأخير. وكأنها شاهدة على قبر لهذا القدر! صار كل شيء من حولي رمادياً.

الكل يبكي حزيناً العندليب، مآذن الجوامع، الكتب والأقلام. هذه الدموع المنسية من ذاكرة الحياة؛ دُفِنت منذُ أزمانٍ. تهاوت أمانيهم و أرواحهم سَمَتْ، بأمر الذي للروح يعطي وينزع. الطفل كرم؛ خرج من تحت الأنقاض سليماً ضاحكاً وكأن شيئاً لم يكن. رضيع يولد؛ من تحت فتات

حطامنا مبتسماً. طفل آخر ظل نائماً لا يدري بالزلزال، يفاجئ إنقاذه (ماذا يحدث؟!) طفولةٌ قاسيةٌ وسط أكوام الدمار تصدحُ. لابد بعد الألم من أمل. وقبل انقطاع الأمل؛ يأتي فرج الله.

# ضربة الحجر

انطلق الرجل الثري، مسرعاً بسيارته الفارهة، في إحدى الشوارع الخلوية، سمع صوت شيء يرتطم بسيارته بقوة. أوقف مسعود سيارته، ونزل منها بسرعةٍ، ودار حولها، ليرى ماذا حدث!

تبين له أن حجراً أصاب سيارته، في الباب الخلفي. وأحدث به ثقباً كبيراً.

تلفت يميناً و يساراً؛ فرأى ولداً صغيراً يقف بجانب الطريق، وتبدو عليه علامات الخوف والقلق.

اتجه مسعود نحوه؛ وهو يشتعلُ غضباً، وأمسكه من شعره الطويل وهزهُ بعنفٍ، وهو يصيح: أيُّها المجنون، لماذا ضربت سيارتي بحجرٍ؟ هل أنت فعلاً مجنون؟!

ألا ترى فخامة سيارتي. هل تعلم كم سيكلفك أنت وأباك؛ ثمن إصلاح السيارة؟ ألا تعرف منْ انا؟

شعر الولد المسكين بالخوف الشّديد. وقال:

أنا آسف جدا يا سيدي . لقد مضى عليّ هُنا وقتٌ طويلٌ، وأنا اقفُ عند حافة الطريق، وألوّحُ بيدي لأنقد أخي .لكن لم يقف أحد لمساعدتي.

انظر هناك، انظر إلى تلك الحفرة. إن الولد الذي تراه في داخل الحفرة؛ هو أخي الأكبر المشلول، لقد كنت أدفعه على كرسي متحرك، في اتجاه قريتنا التي يقال لها (تبالة)، ولكن فلت من يديّ، و تدحرج الكرسي، وهوى في تلك الحفرة، وأنا كما ترى صغير ولا يمكنني حمله وإخراجه. فهل لك أن تساعدني، جزاك الله خيراً، تخرجه من الحفرة وتجلسه على الكرسي. قال الله تعالى: (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ). سكن غضب مسعود؛ واندفع نحو الحفرة، وأخرج منها الولد وأجلسه على مقعد السيارة الخلفي، وطلب من الولد الصغير أن يركب بجانبه، ويدله على مكان قريتهما.

عندما وصلوا للبيت، أنزل الولد المشلول؛ وأجلسه على الكرسي. ودفعه حتى باب منزله، ثم اتجه نحو سيارته ،

لكن الولد الصغير أوقفه، وطلب منه الدخول، ليقابل أباه ويأخذ قيمة إصلاح السيارة. في هذا الموقف الصعب؛ تنازل مسعود عن حقه، وشكر محبوب.

وقال له: لن آخذ منكم شيئاً، وناوله عشرة آلاف دولار؛ صدقةً من عنده. واعترف بذنبه، لأنه تجاوز إشارة الغريق. وتكبر على محبوب، الطفل الذي في سن البراءة. بل أكد له؛ أنه سيبقى على ضربةِ الحجرِ في جانب سيارته، لتكون عِبرةً وتذكاراً له من التكبر على الآخرين.

## جسر المحبة

كانا متحابينِ كثيراً، منذُ صغرهما. لعل بينهما قرابةً. ربُّما كانت كلمة (قرابة) مبالغاً فيها بعض الشيء. لكن والديهما من قرية واحدة جميلة؛ يقال لها (شِكْلنزة). أي الشكل النزه - فيها أربعة عشر مزرعة خضراء، أكبرها مزرعة آل بابطين - وهذا في العُرف القروي يعدُّ صلة قرابةً. كانا يقضيانِ كل وقتهما معاً. يعيشانِ في توافقٍ تامٍ، في مزرعتهما، الواقعة على ضفاف النهر. وقد فتح الله لهما باب الرزق.

يزرعان العِنب والمكسرات بأنواعها، والخضار والفواكه،

ويحصدان كل شيء مشترك بينهما. حتى جاء يوم شب خلاف بينهما. كما تشبُ النار في الهشيم.

بدأ بسوء تفاهم، ولكن رويداً رويداً اتسع الخلاف واحتد النقاش. كَبتَ الأخ الأكبر دموعه داخل عينيهِ، ثم أتبعه

صمت أليم. استمر عدة أسابيع، حتى اتسعت الهوة بينهما، وانقطعت الصلة. فتفرقا كلٌّ في سبيله، لكن الحزن ترك على ملامحهما آثاراً سيئة. لقد تخاصمنا مدة طويلة، وقست قلوبنا ونسينا معنى الإنسانية، وتأتي الآن بهيمة لتصلح بيننا؛ وتكسر الحاجز الذي أقمناه، بعد كل هذا الخصام. بفضل الله، لكن السبب الذي جعلهم يتصالحون؛ كان غريباً جداً. ذات مساء خرج خروف من الخرفان ليلاً، وذهب إلى غنم الأخ الأكبر. وفي الصباح خرج أحد الأبناء وذهب إلى زريبة الغنم، فوجد أن أحد خرفانه مفقود، فظل يبحث عنه، وبعد بحث دام ساعات، وجد الخروف مع غنم أخيه. الذي انقطع الود والوصال بينهما ثلاث سنوات، فقرر أن يذهب إلى أخيه أولاً، قبل أن يذهب إلى (زريبة) الغنم. طرق الباب، فخرج الأخ الأكبر، فوجد أخاه واقفاً أمام الباب، تسمّر كل واحد منهما وهو ينظر إلى الآخر؛ دون أن ينطق أي كلمة. والدموع تنهمر. هنا ضم الأخ الأكبر أخاه الأصغر إلى صدره، وفي لحظةٍ؛ صفت القلوب. وتم فض بكارة ذلك السكوت الموحش، بترجّل سامي عن صمته في لحظة اليقين.

## حلم بين الأجنحة

فجأة وجدتُ إلى جواري امرأةً من نوع غريب. امرأة قضت أربع سنوات في كلية الآداب، لتتعلم فناً واحداً وهو فن الانتصار على الرجل. كان حلمي أن أتزوج من مثقفة.. تفهمني وأفهمها؛ وتشاركني كفاحي، في هذا البلد المنهار اقتصادياً. وتقف إلى جواري في معركة الحياة الصعبة؛ حياة الفقر والجوع والدوران في الدائرة المغلقة. حياة الأحلام الوردية في عالم الخيال، عالم اللاشيء. إنها تتكلم بلباقة، وتلبس شيك، وتقرأ الكتب، ولا يعجبها شيء في الدنيا. إذا سألتها أين تذهب؛ ومتى تعود؟ مطت شفتيها وعاتبتني؛ لأني لا أثق بها. "نرجس" فتاة ذات الخمسة والعشرين عاماً، فتاة جميلة جذّابة؛ تغازلك بسحر عيونها، فلا تطيق الافلات منها، فتبحر في بحور عشقها. لقد أثارت إعجابي كثيراً وجعلتني أعيش لحظة خيالية.

مرت أيام جميلة غاية في الجمال. هي عصفورة بريئة؛ لا تعرف التعالي والغرور. كانت "نرجس" تهوى

الحيوانات، ولذلك استجلب لها أبوها أصنافها؛ وكلف من يقوم بتربيتها والعناية بها. فكلما حست بالسأم والملل؛ دخلت حديقتها مع صديقاتها، لتتفرج على الحيوانات. كانت تعمد أحياناً الى مداعبة القردة. وتركب الحصان، فتتجوّل في أرجاء الحديقة الواسعة. وأكثر ما تهوى ركوبه جملاً هادئاً؛ يقال له عبّدوي. غزير الوبر، ناصع البياض. تحب "نرجس" هذا الجمل؛ حبّاً لا يوصف. ولهذا الجمل كساء من الصوف؛ المنسوج من الحرير. وكانت إحدى صديقاتها؛ تقوم بمشط وبر الجمل وتنظيفه من الغبار والأوساخ. لم أكن على علمٍ بهذه النشأة المدللة السعيدة الحلوة، لكنني أحبُّ كلَّ تفاصيل لديكِ، فلا عيب عليكِ ولا نقص ولا خلل. أحبُّ فيكِ جمالاً لا انتهاء له. استدارت نرجس؛ تطبعُ ابتسامة مشرقة على محْياها. وافتر ثغرها بابتسامة رضى.

## قاتل الصَّداقة

شارفتْ الشمسُ على الغروب، وبدأ جنحُ الليلِ يخيَّمُ على البلدة، وسواده ينتشر في كل مكان. حتى تسلل إلى بيت علي وأصبح مظلماً. علي شابٌ يحب جارته ماريا؛ حبَّاً لا يوصف. منتظر تحقيق حلمه، واستكمال مبنى بيته. الذي تعثر بسبب تكاليف البناء الباهظة. وخذلان أعز أصدقائه؛ الذي طلب منه قرضة، الشياطين فعلت ذلك بشراسة مهينة؛ خالية من المودة والاتزان؛ أقعدتهُ حكايتها الوقحة المفعمة بالغرابة وخيبات الأمل. قبل لحظة الاكتشاف؛ قادته مخاوفه، لترمي بوجوده الثمل وسط غابة شاسعة المدى، مكتظة بزئير حيوانات بأشكال غريبة، يمكن من خلالها تمييز ضراوة توحشها. حاول بقدر ما يستطيع السيطرة على مخاوفه ومشاعره. ومازال حلمه مستمراً في لملمة شتات المفقود. منذُ أن كان صغيراً؛ يمرُّ بالعديد من المواقف المحرجة، التي تفقده القدرة على التعبير. هو يكتبُ أحياناً عن خفقان، لا تنبض إلا على الورق؛ وهي في داخله قد أرهقته الخيبات والصدمات،

كمن يُغلف باقات من الورود؛ للعاشقين مبتسماً؛ وفي يديه جروح. والده ثري يعمل في تجارة المجوهرات. يُؤثر أصدقاؤه ويجبر خواطرهم. وهم بدورهم يحبونه ويحترمونه؛ بشكل لا مثيل له. دارت الأيام دورتها. وشاءت الأقدار أن يموت والده، ويصيب الفقر العائلة. فبدأ يبحث عن أصدقاء الماضي - أيام رخائه - فَعلِمَ أن صالح؛ أعز صديق لوالده، كان يُكرمه ويرحمه. وأكثرهم مودةً وقرباً منه، قد أصبح تاجراً مشهوراً ومن أصحاب القصور. فتوجه إليه؛ عسى أن يجد عنده عملاً أو سبيلاً لإصلاح حاله وتحقيق حلمه. فلما وصل باب القصر، استقبله الخدم. فذكر لهم صلته بصاحب القصر، وما بينهما من مودة قديمة. ذهب الخدم وأخبروا صديقه صالح بذلك، فنظر إليه من خلف ستارٍ ليراهُ، وقد بدأ شخصاً رثُ الثياب. ذا شعر أبيض، عليه آثار الجوع والفقر. وقد عمل فيه الزمن حفراً ونذوباً، وأمتلأ جبينه بالتجاعيد؛ من رماد أنقاض السنين. فلم يرضَ بلقائهِ! بالرغم أنه لم يره منذُ أن افترقا. خرج علي من باب القصر مكسور الخاطر، منكّس الرأس، معصوب العينينِ بالنكران. يسحب قدميه المثقلتينِ والدهشة تأخذ منه مأخذها! فأدرك أنه (غريق يحاول أن

يتعلق بقشةِ صديقهِ). يتمتم بكلمات: الصّداقة ماتت. وهو يتألم عليها ؛ كيف ماتت ومنْ قتلها؟! وعلى القيم؛ كيف تذهب بصاحبها بعيداً عن الوفاء والشهامة. وسلك طريقاً خارج البلدة، متثاقل الخطوات، لا يعرف إلى أين وجهته. نهاره برائحة الظلام. تتّابع في ذهنه، صور الجهد الضائع الذي بذله مع صحابه إلى حد التضحية بروحه، وكم مرة سلمته الأقدار من الموت المحقق، على مدى سنوات عمره . أحس بالأسف الشديد وأصابه الإحباط واليأس العميق؛ وكأن الأرض ابتلعته، فغاص في أعماقها المظلمة. لقد تجسد تمثال غبائه في قصور شامخات، لكنها سريعة الانهدام أمام تقلبات البشر والأيام. حياةً فعلاً دوّامة. رمادية هي الحياة. صفراء مثل شمس غاربة. وهو مازال حيث هو ،يتنفس النكران والجحود وكسر الخواطر، فلا يصدّق عينه. نعيش بكوكب مزْدحم من الآلام الموجعة. حتى وان تنفسنا؛ شهقنا تلك النار المُحرقة. لقد تجلدتْ صخور الحياة الصماء على قلبه، ودُفِنت الصداقة في رمال الصحراء. فلا صديق ولا حبيب.

## ليالي الحلم

الشمس اليوم حرارتها مرتفعة جداً؛ ليست طبيعية أبداً. طعمُ الملح في الهواء دوماً. يبدو أننا في نجم القلب. في هذه الأيام الرطبة الحارة، تُغطي المناخر والآذان طبقة من الملح. إنني أشعر بالاختناق؛ ولا أستطيع التنفس. جسدي النحيف بات ثقيلاً، أثقل من كلّ هواء الكرة الأرضية! هذا ما رددته أم حنين وهي تمشي سيراً على الأقدام؛ على الكوبري الشّحري، الرابط بين برع السدة والمنصورة الجديدة، الذي بناه المهندس زكريا، الذي درس في بلاد الغرب.

هذا الرجل يعيش وحيداً، كوحدة أم حنين، التي تسربل الأشواك في دربها. فقطعت هذا الشارع؛ المؤدي إلى المنصورة. وأشعة الشمس الحارقة تغزو رأسها؛ كجمر التّنور. مما جعل مشاعر السخط والغضب؛ تبدو واضحةً على مجمل تصرفات هذه السيدة الأنيقة، التي تمتلك كبرياء العالم. فليست الحرارة وحدها؛ ما أثار غضبها واشمئزازها، وإنما العرق قد فعل فعلته؛ وعكر مزاجها. وتصبب من وجهها،

وكأنه شلال من ماء عتم الروضة. المشهور بحرارته في مدينة الحامي.

ما أن وصلت إلى باب بيتها حتى تلقتها عند عتبة الباب، تلك الأحلام التي نسجتها مع أولادها. ودونت على خديهما؛ طقوس حبُّها التي لا تُنسى. إنها الآن وحيدةً. ما أصعب التخلي عنها في لمحة بصر؛ وقد فتحت لهما شرفات الحلمِ. كانت تضع الخطط وتشيّد قصَوراً في الخيال. لم تظن يوماً؛ أن تلك القصور، ستهدمها معاول النكران والعقوق. ولأن تكتب هذه الأحداث؛ بريشةٍ هي روحها المضطربة، تغمسها في مِحبرةٍ؛ هي فؤادها المتفجر دمّاً أحمراً. وفي عيونها تتكون لوحات فنية، لا تعد ولا تحصى. تروي حكاية الأمس واليوم. وتتنبأ بمستقبل مجهول. كانت الأحلام على وشك الغروب. وطريق الحلم؛ لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية. وعلى ما يبدو إنها تسبح في بحرٍ لا شاطئ له. ابتدرها الأسى؛ كلما هجعتْ إلى النوم.

ومع مرور الأيام؛ بدأت الأحزان في قلبها تتعاظم. فكل يوم يمر عليها؛ يشعرها بأن وجودها في الشّحر؛ بل في

## أحلام مؤجلة

هذه الحياة ليس مهماً. بدأت في تلك الليلة؛ تُقلب صفحات ألبوم صور أولادها فهاجمها الحنين بعنفٍ، في صورة وحش يحمل في يديه بندقية. أطلق عليها خمس رصاصات، خرجت على أثرها عن السيطرة، وفقدت عالمها الإنساني. ها هي النهاية قد أشرفت، وكأن حدثاً ما وقع.

## يوم ممطر

وقف مروان، كالصنمِ لا يتحرك. ملابسه رثة، تبدو عليه علامات الفقر والفاقة. وقف دون أن يتحرك حركةً واحدةً، كأنهُ متسمر في الأرض. ظنه الناس تمثالاً؛ ورمزاً للفقراء والمساكين. كان شارد الذهن. دمعه يسيلُ على خديهِ. السماءُ ملبدة بالسّحاب. في ليلةٍ من ليالي الشتاء الباردة. بدأت السماء تمطر وكان الناس في الشوارع يركضون، محاولين الوصول إلى منازلهم، والبعض منهم يرفع مظلة على رأسهِ، كي تحميهِ من الأمطار.

والجنس الآخر يركب (عربيته) الفاخرة؛ ولا يبالي بقطرات وزخات المطر. ومجموعة من الأطفال يركضون وهم يحتمون بستراتهم، المصنوعة من الجلد. بدأتْ تتجمع المستنقعات والبرك في الشوارع، وبدأ الماء يرتفع في أرجل هذا الصنم، بل وصل إلى ساقهِ. نظر إليه أحمد باستحقارٍ وسأله في سخريةٍ: أيُّها الرجلُ، ألا تملك ملابساً أفضل من هذه الملابس الرثّة، التي عفى عليها الزمن؟ ووضع يدهُ في

محفظة النقود وقال لـه فـي تكبرٍ وازدراءٍ: هل تريد شيئاً من المـال؟ رد عليـه بكـل هـدوء: لا. امـضِ إلـى سـبيلك. مَنْ هـذا المجنـون، الـذي لا يتحـرك؟ وكأنـهُ يريـد مـن السماء أن تغسلَ دموع فقرهِ! عجيب أمر هذا الرجل؛ الذي اختلط دمعه بماء المطر. يا الهي! لقد توقف المطر فجأةً تماماً، وكأن دعوة هذا المسكين استجابت! تحرك هذا الصنم ماشياً على قدميهِ، إلى أن دخل فندقاً ضخماً؛ بالقرب من الشارع الذي كان واقفاً فيه.

أم أحمد كانت تنظرُ من نافذتها الزجاجية، إلى هذا الرجل العجيب أمره. وكانت ترقبُ حركته بكل تفاصيلها، وربُّما تريد أن تقول لَه شيئاً. لكنه غاب عن عينيها ودخل الفندق. لا يمكنك الجلوس هُنا ويمنع في الفندق التسول، رجاءً انصرف في هدوء. نظر إليه مروان نظرةَ استغراب، وأخرج من جيبهِ مفتاح (رقم ١) خاص بأكبر وأفضل جناح في الفندق، يطلُ على النهر. ثم أكمل سيره إلى الدرج، والتفت إلى موظف الاستقبال، قائلاً له : أنا سوف أخرج بعد ساعة من الآن، فهلّا جهزت لي سيارتي الروزرايس من فضلك؟

ثم انصرف دون أن يقول كلمةً ولكنه تمتم بكليمات، منْ لا يملك مالاً؛ ليس له احترام، وكأنه خُلِقَ عاراً على هذه الدنيا. عاد مروان في حلةٍ أخرى، يرتدي بدلةً انيقةً فاخرةً. وربطةَ عنقٍ وحذاءٍ يعكس الإضاءة من شدة نظافتهِ وبريقهِ. لقد تعوّد مروان في كل شتاء أن يجرب شعور الفقراء، وينزل إلى مستواهم، يخرج بلباس رث، تحت المطر كالمشردين، كي يحس بمعاناة الفقراء.

## التوقيع نشوة

كان الزوجانِ في غاية السعادة؛ وهما يغادرانِ المطعم. وكانت "نشوة" في قمة النشوة، قبل أن يتغلغل الندم إلى داخلها؛ إثر احتجاج رفيقتها نازك على مبادرتها، التي تعتمد على هدر مالها، وهي في أمس الحاجه له. فكانت تزمْجرُ بلهجةٍ حادةٍ. تلقت اتصالاً من أمها بُثينة. تقول لها بصوت عالٍ: ماذا فعلتِ يا "نشوة"؟

ردَّت بصوت منخفض ومرتعش، خوفاً من صدمة لا تحتملها: لمْ أفعل شيئاً يا أماه! ماذا حدث؟

يشتعل "الفيسبوك" إشادة بكِ ومدحاً لتصرفكِ. سيدة وزوجها وضعا رسالتكِ لهما على الفيسبوك، بعد أن دفعتِ الحساب عنهما. (دفعتُ فاتورتكما من حسابي الشّخصي؛ مراعاة لظروفكما، وهذا مبلغ مائة دولار هدية مني، هذا أقل شيء اقوم به تجاهكما.. التوقيع نشوة.) تناقلها الكثيرون. أنا فخورةٌ بكِ".

لم تكد تنتهي من محادثتها مع أمها، حتى اتصلت عليها صديقة الدراسة "نرجس"، تشير إلى تداول الناس رسالتها بشكل فيروسي؛ في جميع المنصات الاجتماعيَّة الرَّقميَّة.

وفور أن فتحت نشوة حسابها في "فيسبوك"، وجدت مئات الرسائل؛ من منتجين تلفازيين ومراسلين صحافيين، يطلبون مقابلتها، للحديث عن مبادرتها الإنسانية المميزة. هكذا هي الحداثة؛ في القرية الكونية.

وفي اليوم التالي، ظهرت "نشوة" على الهواء؛ في أحد أشهر البرامج التلفزيونية وأكثرها مشاهدة. منحتها مقدمة البرنامج عشرة آلاف دولار. وحصلت من شركة إلكترونيات قسيمة شراء بخمسة آلاف دولار. وانهالت عليها الهدايا، حتى وصلت إلى أكثر من مائة ألف دولار، تقديراً لسلوكها الإنساني العظيم.

المطعم تتصاعد منه رائحة الشواء، التي تتسلل إلى انفهما باشتهاء ويسيل لعابهما، أيّتُها النادلة ما هو أرخص طبقينِ غذاء عندكم في المطعم؟ إننا لا نمتلك مالاً كافياً. لم

تفكر النادلة طويلاً. اقترحت عليهما طبقينِ؛ فوافقا بلا تردد مادام هما الأرخص. فتناولاهما بنهم.

تكلفة وجبتي طعام؛ لم تكلف "نشوة" أكثر من بضع دولارات إضافة إلى المائة دولار غيَّرت حياتها.

## فهرس المحتويات


| القصَّة | الصفحة |
|---|---|
| الإهداء .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٤ |
| تصدير .. بقلم/ أ.عادل حاج باعكيم .. .. .. .. .. .. .. | ٥ |
| المقدِّمة .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٧ |
| لوحة حلم .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٩ |
| الحبُّ الأبدي .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ١٢ |
| وجدتُ حلمي .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ١٦ |
| مقهى شحري .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ١٩ |
| رحلة إلى المشقاص .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٢٣ |
| سفينة الغرق (أنيوكا) .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٢٧ |
| القهوة المالحة .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٣٤ |
| بيلي .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٣٧ |
| ورقة التوت .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٤٠ |
| الورقة الصغيرة .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٤٤ |
| حارس ليلي .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. | ٤٦ |

| | |
|---|---|
| بلاد بلا سماء | ٥٠ |
| أحلام على قيد الانتظار | ٥٣ |
| لوحة الأرملة | ٥٦ |
| فكرة مجنونة | ٥٨ |
| صورة أبي | ٦١ |
| فراسة الشَّقراوي | ٦٤ |
| الرحلة من الطابق الأول | ٦٧ |
| ضربة الحجر | ٧٠ |
| جسر المحبة | ٧٣ |
| حلم بين الأجنحة | ٧٥ |
| قاتل الصداقة | ٧٧ |
| ليالي الحلم | ٨٠ |
| يوم ممطر | ٨٣ |
| التوقيع نشوة | ٨٦ |
| فهرس المحتويات | ٨٩ |